المكتبة اللغوية

من أسرار المخالفة بين الضمير ومرجعه في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي

أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المكتبة اللغوية



تأليف

الدكتور/ أحمد محمد عبد الراضي
أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد
كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧

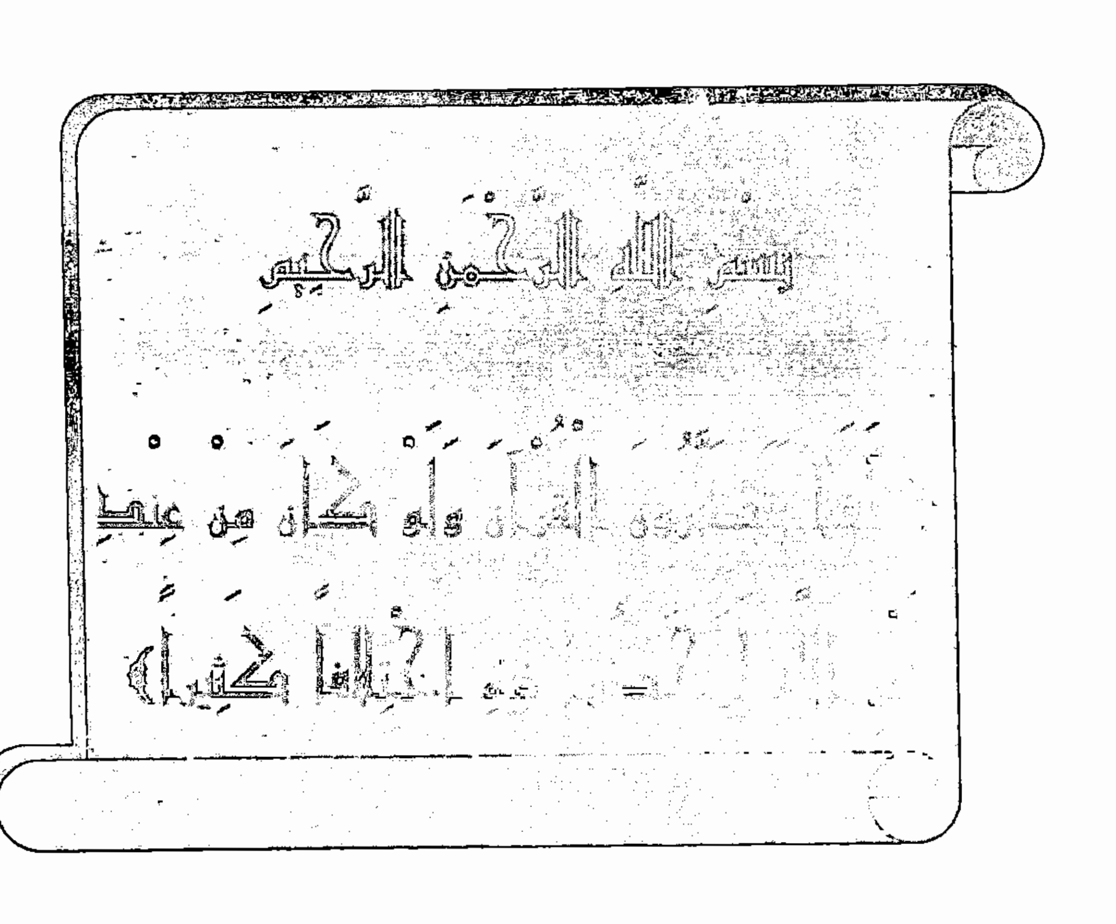
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
ت/ ٢٥٩٢٢٦٢٠ ـ ٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عبد الراضي ،احمد محمد
من اسرار المخالفة بين الضمير ومرجعه في القرآن الكريم / تأليف احمد محمد عبد الراضي
ـ ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٧
١٦٠ص، ٢٤سم
تدمك : 977-341-338-1
ا- القرآن ـ تفاسير نحوية
ا- العنوان

ديوى : ٢٢٧,٣٦٦

رقم الايداع : ٢٠٠٧/١٤٦٢٨



بسم الله الرحمن الرحيم
ولو كان من عند
اختلافا كثيرا)



إهداء

إلى أولادى جميعا أهدى هذا العمل المتواضع – وقد كانوا وراء كل عمل بجهدهم وعونهم – راجياً من الله عز وجل – أن ينفعنى بهم دائما ، وأن يجعلهم لى قرة عين ، وأن يسدد خطاهم فى طريق الفوز والنجاح .

الدكتور / أحمد محمد عبد الراضى



تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا" والصلاة والسلام على سيدنا محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد -فإن الضمير يحتل مكانة بارزة فى الجملة العربية، حيث يقوم بدور أساسى فى الربط بين أجزائها ، وبدون الضمير لا يلمس القارئ علاقة بين أجزاء الكلام ، ولما كان للضمير هذه الأهمية - كان جديراً بالدراسة والبحث .

ودراسة الضمير - تقتضى دراسة مرجعه ، وخاصة ضمير الغائب - الذى يستلزم مفسراً يوضح معناه، ويبين المقصود منه ، وهذا المفسر - هو الذى يسميه النحاة مرجعا ، وهذا المرجع لا بد أن يتقدم فى الأصل على الضمير ، ولابد من هذا المرجع - أن يكون مطابقاً للضمير - فى عدده ونوعه ، ولكن قد نرى فى القرآن الكريم - ما ظاهره الاختلاف بين الضمير ومرجعه ، سواء أكان اختلافا فى العدد ، أم اختلافاً فى النوع ، ولهذا جعلت موضوع هذا البحث - من أسرار المخالفة بين الضمير ومرجعة فى القرآن الكريم، وقد قصدت بهذا أن أرصد بعض مظاهر هذا الاختلاف فى الأسلوب القرآنى محاولا بقدر الإمكان كشف سر هذا الاختلاف، إذ

لابـــد أن يكون وراء.كل ظاهرة نحوية أو لغوية فى القرآن الكريم – سر من أسرار إعجازه.

وقــد قسمت هذا البحث – قسمين يسبقهما تمهيد أوجزت فيه مفهوم الضمير ، وأقسامه ، ودوره فى بناء الجملة العربية .

أمــا القســم الأول – فقــد تناولــت فيه العلاقة بين الضمير ومرجعه – من حيث الرتبة ، فبينت أنواع التقدم بالنسبة للمرجع على ضـــوء مـــا جـــاء فى القرآن الكريم ، فبينت التقدم اللفظى ، والتقدم المعنوى ، والتقدم الحكمى.

وفـــى القســم الثانى – تتبعت مظاهر الاختلاف بين الضمير ومـــرجعه – فـــى القـــرآن الكـــريم ، وصنفتها على حسب نوع هذا الاخـــتلاف، وعلـــى حســـب الغـــرض – الـــذى جاء من أجله هذا الاختلاف، وقد حاولت أن أبين العلل النحوية من وراء هذا الاختلاف متوصــــلا إلـــى أن مـــا نراه – فى القرآن الكريم – من اختلاف بين الضـــمير ومرجعه – لم يكن مجافياً لقوانين اللغة ، أو بعيداً عن سنن العربية .

ثم أعقبت هذه الدراسة بخاتمة ، أوجزت فيها أهم نتائج البحث.

وقـــد اعتمدت فى هذه الدراسة – على كتب الإعراب للقرآن الكـــريم، وكتـــب التفســـير ، وبعض كتب النحو كما استعنت ببعض المراجع الحديثة التى عالجت بعض قضايا الضمير.

علـــى أن هذه الدراسة لم تهدف إحصاء كل ظواهر المخالفة بيــن الضمير ومرجعه فى القرآن الكريم ، وذلك تحاشياً للوقوع فى التكرار ، ومن ثم سجلت ما هو جدير بالنظر والبحث.

واســـأل الله تعالى – أن يجعله عملا مقبولاً ، وأن يغفر لى ما قـــد يكون فيه من زلات أو هفوات ، اذلا كمال إلا لله تعالى وحده ، كما اسأله تعالى – أن ينفع به كل من قصده طالبا منه نفعاً–

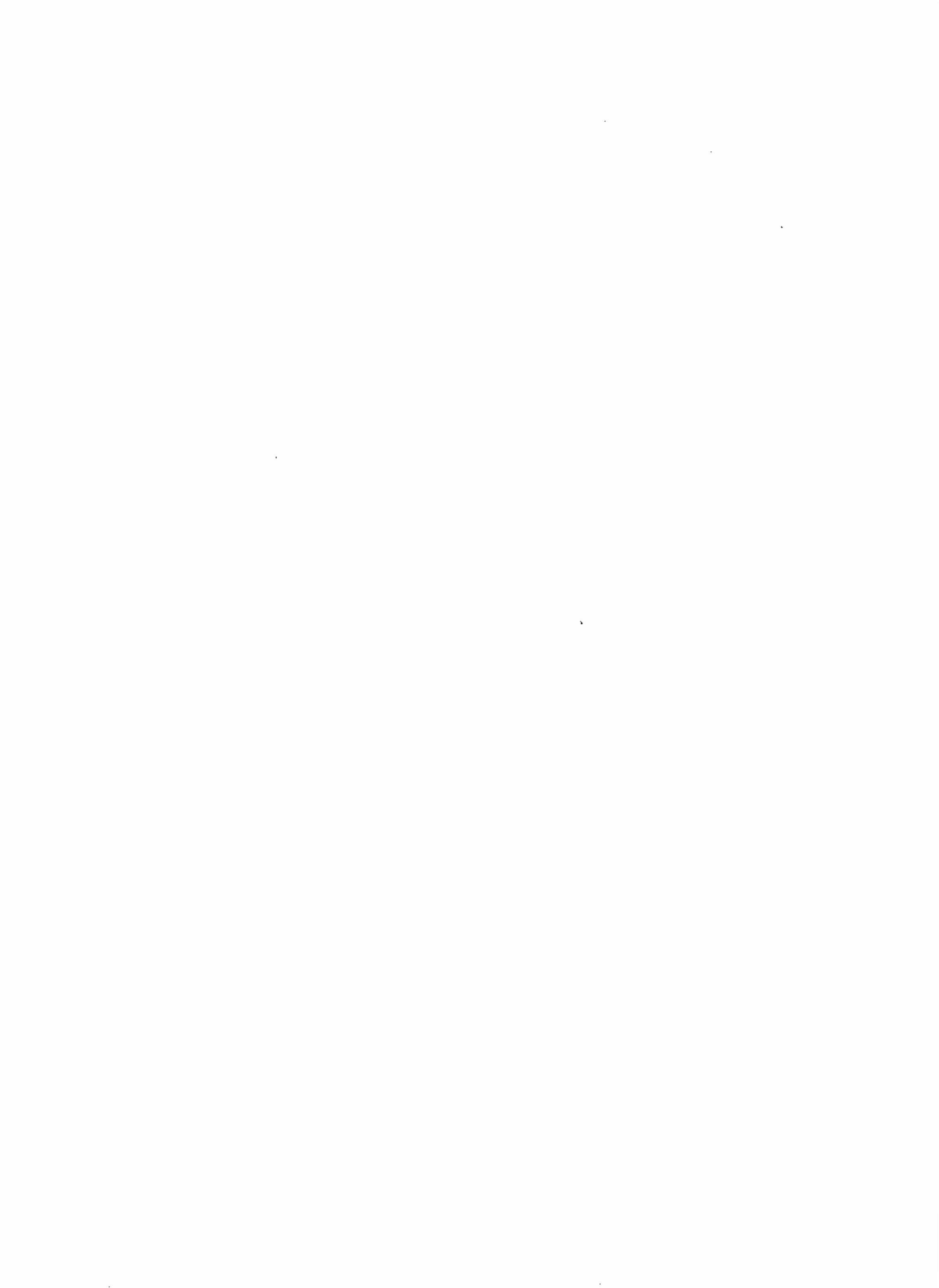
﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد : النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم

الدكتور / أحمد محمد عبد الراضى

٨من ذى القعدة ١٤٢٣هـــ.

١١ يناير ٢٠٠٣م



تمهيد

المضــمر بضــم الميم الأولى، وفتح الثانية – اسم مفعول من أضــمرته-إذا أخفيته،وسترته،وإطلاقه على البارز-توسع ،والضمير بمعــنى المضمر على حد قولهم:عقدت العسل فهو عقيد،أى:معقود ، وهو اصطلاح بصرى ،والكوفية يسمونه كناية ومكنيا،لأنه ليس باسم صــريح، والكناية تقابل الصريح [1] ،ولا فرق بين المضمر والمكنى عــند الكوفيين ،فهما من قبيل الأسماء المترادفة ،فمعناهما واحد-وإن اخــتلفا من جهة اللفظ ،وأما البصريون-فيقولون : المضمرات نوع من المكنيات،فكل مضمر -مكنى ،وليس كل مكنى-مضمرا،فالكناية- إقامة اسم مقام اسم تورية وإيجازا.[2]

والمضمرات كلها -مبنية ويذكر ابن يعيش -أن علة البناء -أمران:

أحدهمــا -شبهها بالحروف من حيث إن الضمائر لا تستقل بذاتها،بل تفــتقر إلــى ما يفسر معناها ،وهو تقدم اسم ظاهر عليها،فأشبهت الحــروف الــتى لا تستقل أيضا بنفسها ،بل تفتقر إلى ما يوضح معناها .

والآخــر -أن المضمر كالجزء من الاسم ، وجزء الاسم -لا يستحق الإعراب [3] .

---

[1] -شرح التصريح على التوضيح الشيخ خالد الأزهرى :١/ ٩٥

[2] - شرح المفصل لابن يعيش :٨٤/٣

[3] - المرجع السابق : ٨٥/٣

والضـــمير -هـــو مــا دل وضـــعا على متكلم : كـــ(أنا)،أو مخاطب كـــــ(أنـــت)،أو غائـــب : كـــ(هو)[٤]،وضميرا المتكلم ،والمخاطب - تفســـدهما المشـــاهدة ،وأما ضمير الغائب-فعار عن المشاهدة،ولذا يحتاج إلى ما يفسره[٥].

وللضـــمير -دور أساسى فى بناء الجملة العربية ،حيث يربط أجزاء الكـــلام بعضـــه بـــبعض ،فيربط جملة الخبر -بالمبتدأ ،أو بما أصله المبـــتدأ ،ويـــربط جملـــة النعت-بالمنعوت ،وجملة الحال بصاحبها، وجملـــة الصلة بالموصول،والجمل المتعاطفة - بما تعطف عليه،كما أن للضـــمير قيمة لغوية تتعلق بالمعنى وهى رفع الالتباس، وتحقيق الإيجـــاز، يقول الرضى:" اعلم أن المقصود من وضع المضمرات - رفع الالتباس، فإن (أنا)-(أنت) -لا يصلحان إلا لمعنيين، وكذا ضمير الغائب -نص فى أن المراد هو المذكور بعينه فى نحو : (جاءنى زيد وإيـــاه ضربت)،وفى المتصل يحصل مع رفع الالتباس- الاختصار ، ولـــيس كـــذا الأســـماء الظاهـــرة ،فإنه لو -سمى المتكلم والمخاطب بعينهما- فربما التبس ،ولو كرر لفظ المذكور مكان ضمير الغائب - فـــربما توهـــم أنـــه غير الأول"[٦]،لأن ذكر الضمير عائدا على الاسم الظاهـــر -يدل على أن هذا الظاهر المتقدم -هو المراد بالحديث ،كما

---

[٤] - شرح الفاكهى على قطر الندى : ١/١٨٤

[٥] - الهمع للسيوطى : ١/٦٥ ،والبيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان ١/١٣٧، ١٣٨.

[٦] - شرح الكافية :٢/٣

نقول : (محمد نجح أخوه)،أو(محمد نجح)، فإن عودة الضمير بارزا أو مستترا -إلى محمد - يبين أنه هو المقصود بالحديث ،ولكن إذا قيل :(زيد فعل زيد)-جاز أن يتوهم أن زيدا الثانى -غير زيد الأول.[٧]

وبالضمير -تتعلق قضايا ومسائل كثيرة مبسوطة فى كتب النحو ، ليست غرضا من هذا البحث، ولكن ما يعنينا أن نرصد ما حدث فيه اختلاف بين الضمير ومرجعه -فى القرآن الكريم -ذاكرين أقوال النحاة والمفسرين فى سر هذا الاختلاف معقبين على هذه الأقوال بما نراه أرجح ،أو أقرب إلى التصور اللغوى .

---

[٧] - شرح المفصل لابن يعيش ٣/ ٨٤.



الفصل الأول

بين الضمير ومرجعه



الفصل الأول

بين الضمير ومرجعه

وقبل أن أذهب إلى تصيف الأسرار ،أو الحكم -التى من أجلها جاءت المخالفة بين الضمير ومرجعه مستشهدا على ذلك بما جاء فى القرآن الكريم- يجدر بى أن ألقى بعض الضوء -فى عجالة سريعة - علـــى مـــرجع الضمير،وخاصة ضمير الغائب ،لما فيه من غموض وإبهـــام ،لأن ضـــميرى المتكلم والمخاطب-تفسدهما المشاهدة،وأما ضـــمير الغائـــب-فعـــار عن المشاهدة ،ولذا يحتاج إلى تفسير [8]،قال الرضـــى :" وإنمـــا يقتضـــى ضمير الغائب -تقدم المفسّر عليه،لأنه وضـــعه الواضـــع معـــرفة - لا بنفسه ،بل بسبب ما يعود عليه ،فإن ذكرته، ولم يتقدمه مفسره- بقى مبهما منكرا لا يعرف المراد به حتى يأتى تفسيره بعده "[9].

والأصـــل فى هذا الشىء المفسر الموضح أن يكون فى غير ضمير الشأن -متقدما على الضمير ومذكوراً قبله ، ليبين معناه أولا ، ويكشـــف المقصود منه ،ثم يجئ بعده الضمير مطابقا له -فيما يحتاج للمطابقـــة ،كالتأنيـــث والإفـــراد وفروعهما- فيكون خاليا من الإبهام والغموض،ويسمى ذلك المفسر الموضح -مرجع الضمير "[10].

---

[8] - الهمع للسيوطى : ١/ ٦٥.

[9] - شرح الكافية:٢/ ٥.

[10] - النحو الوافى للأستاذ عباس حسن :١/٢٥٦،٢٥٥.

ولمـــا كـــان الأصـــل فى مرجع الضمير أن يكون متقدما عليه -فإن الـــنحاة قد نظروا فى نوع هذا التقدم ،فحصروا له صور شتى يمكن تصـــنيفها إلى ثلاثة أقسام : تقدم لفظى ،وتقدم معنوى،وتقدم حكمى ، وفيما يلى نوضح المقصود من كل قسم :

أولا -التقدم اللفظى :

والمقصود بالتقدم اللفظى - أن يكون مرجع الضمير مصرحاً بـــه فى الكلام مذكورا قبل الضمير،كما فى قوله تعالى:" واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا "[11]،فقد عاد الضـــمير فى (إنه)،وفى (كان)- إلى (إسماعيل)- عليه السلام،وهو مـــتقدم فـــى اللفـــظ والرتبة ،وقد قسم ابن الحاجب- التقدم الفظى - قسمين:

أحدهما -متقدم لفظا تحقيقا ،نحو:(ضرب زيد غلامه)

والآخـــر -مـــتقدم لفظا تقديرا ،نحو :(ضرب غلامَه زيد)،إذ (زيد)- متقدم فى اللفظ تقديرا،لكونه فاعلا،غير أن الرضى اعترض على ابن الحاجـــب فى جعله نحو (ضرب غلامَه زيد)-من قبيل التقدم اللفظى الـــتقديرى ، وقال :" فجعل نحو:(ضرب غلامَه زيد)مما تقدم معنى - أولى ،إذ متقدم معنى وتقديرا لا لفظا"[12].

---

[11] - مريم :٥٤

[12] -شرح الكافية :٢/٢/٤

وإذا كـــان مرجع الضمير مذكور مصرحا به- فإن الضمير يعــود على أقرب مذكور -فى الأصل،يقول الرضى :" واعلم أنه إذا تقــدم ممـــا يصلح للتفسير -شيئان فصاعدا -فالمفسر هو الأقرب لا غــير، نحو :(جاءنى زيد وبكر فضربته)،أى(ضربت بكرا)،ويجوز مع القرينة أن يكون للأبعد ،نحو :(جاءنى عالم وجاهل فأكرمته)[١٣]، ويــدل على ذلك -قولـــه تعالى : "ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا فـــى ذريته النبوة والكتاب "[١٤]،فإن الضمير فى (ذريته)- يعود على (إبراهيم)-عليه السلام ،وهو غير الأقرب ،لأنه المحدث عنه من أول القصة إلى آخرها ."[١٥].

ونخلـــص من ذلك إلى أن التقدم اللفظى لمرجع الضمير -أن يكـــون هـــذا المـــرجع الذى يسمى مفسرا للضمير مقدما عليه لفظا ورتبة، كما فى قوله تعالى :"وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى "[١٦]،أو لفظا دون الرتبة، كما فى قوله تعالى :"وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ "[١٧]،وقوله تعالى : " لا يَـــنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا "[١٨]وقوله تعالى :" أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"[١٩] ،

---

[١٣] – شرح الكافية :٢/ ٤

[١٤] – العنكبوت : ٢٧.

[١٥] – الهمع للسيوطى : ١/ ٦٥

[١٦] ––طه : ١٢١

[١٧] البقرة :١٢٤.

[١٨] – الأنعام : ١٥٨.

[١٩] – محمد : ٢٤.

وأن يكـــون هـــذا المرجع -أقرب مذكور لهذا الضمير ،لا يعود إلى الأبعد إلا إذا دل السياق على ذلك .

ثانيا -التقدم المعنوي :

والمقصود بالتقدم المعنوى لمرجع الضمير -أن لا يكون هذا المرجع أو المفســـر -مصرحا بتقديمه ،بل هناك شىء آخر غير ذلك الضمير يقتضى كون المفسر قبل موضع الضمير [٢٠]،

وقد قسم النحاة التقدم المعنوى -أقساما متعددة ،نبينها فيما يلى :

١- **الرتـــبة** بمعـــنى أن الضمير يعود على متأخر فى اللفظ ،ولكنه مقـــدم فـــى الرتبة ،وقد جعل الرضى هذه الصورة من قبيل التقدم المعـــنوى علـــى حين جعلها ابن الحاجب -من قبيل التقدم اللفظى التقديرى ،وذلك كمعنى الفاعلية المقتضى كون الفاعل قبل المفعول رتـــبة ، نحو:(ضرب غلامه زيد)،ومعنى الابتداء المقتضى كون المبـــتدأ قـــبل الخبر ،نحو :(فى داره زيد)، ومعنى المفعول الأول المقتضـــى تقدمـــه على الثانى، نحو (أعطيت درهمه زيدا)،وكذا نحو: (ضربت فى داره زيدا)[٢١]،ومن ذلك -قوله تعالى :" فأوجس فـــى نفسه خيفة موسى " [٢٢]،وقوله تعالى :" ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون"[٢٣] وقد عد ابن الشجرى ذلك -من قبيل توجيه الضمير

---

[٢٠] - شرح الكافية : ٢/ ٤

[٢١] - شرح الكافية :٢/ ٤، ٥

[٢٢] - طه : ٦٧

[٢٣] - القصص : ٧٨

- إلى متأخر فى اللفظ ،متقدم فى الرتبة [٢٤]، ولم يشر إلى اعتباره تقدما معنويا.

٢- دلالة الحس عليه،وقد جعل السيوطى من ذلك -قوله تعالى :" قال هـــى راودتنى عن نفسى "[٢٥]، وقوله تعالى " قالت إحداهما ياأبت اســتأجره "[٢٦] فإن الضمير :(هى)-يعود على _زليخنا)،والضمير فـــى (اســتأجره) -يعــود علـــى (موسى)عليه السلام ،ولم يتقدم التصريح بكل منهما،لكونهما حاضرين "[٢٧] .

٣- أن يكــون المرجع -جزء مدلول الفعل ،بمعنى أن يعود الضمير علـــى ما يتضمنه اللفظ المتقدم،نحو قولــه تعالى :" اعدلوا أقرب للــتقوى "[٢٨]،أى :(العدل)-الذى هو جزء مدلول الفعل ،لأن الفعل (اعدلوا)- يدل على الحدث والزمن [٢٩]،ومن ذلك -قولـــه تعالى : "وإن تشـــكروا يرضه لكم"[٣٠]،فالهاء عائدة على (الشكر)،ولم يتقدم ذكـــر الشـــكر ،وإنما تقدم ما يقتضيه ،لأن الفعل يقتضى الحدث ، فالفعل :(تشكروا) -يقتضى (الشكر)[٣١]ومن ذلك -قوله تعالى :" ولا

---

[٢٤] - أمالى ابن الشجرى : ٨٩/١

[٢٥] -يوسف :٢٦.

[٢٦] - القصص : ٢٦

[٢٧] - الهمع : ٦٥/١

[٢٨] - المائدة :٨.

[٢٩] - الهمع : ١/ ٦٥ ،وحاشية الصبان على الأشمونى : ١/ ١٠٨

[٣٠] - الزمر :٧.

[٣١] - البسيط فى شرح الجمل لابن أبى الربيع ١/ ٣٠٣، ٣٠٤ .

يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم. "[٣٢] فقد جعل الفراء الضمير فى قولـــه تعالى :(هو خيرا لهـــم)– راجعا على (البخل) المدلول عليه بالفعل (يبخلون)،وذلك على القراءة بتاء الخطاب فى (تحسبن)،قال :" فـــ(هو)– كناية عن الـــبخل ،فهـــذا لمن جعل(الذين)فى موضع نصب ،وقرأ (تحسبن) بالتاء، ومن قرأ بالياء –جعل (الذين) فى موضع رفع ،وجعل (هو) عمـــاداً للـــبخل المضـــمر،فاكتفى بما ظهر فى (يبخلون) من ذكر الـــبخل "[٣٣] والقـــراءة بتاء الخطاب –لحمزة،ووافقه المطوعى[٣٤]، واستشـــهاد الرضى –أدق من استشهاد الفراء،إذ لا يحتمل الضمير فى (بل هو)–إلا أن يكون راجعا على البخل المدلول عليه بالفعل (يبخلون)،أما الضمير فى(هو خيرا لهم)–فيحتمل أن يكون ضمير فصـــل على القراءتين ، لأن المفعول الأول على قراءة الجمهور بالـــياء – محذوف ،والتقدير (ولا يحسبن الباخلون بخلهم هو خيرا لهم)، وعلى القراءة بالتاء – يكون ضمير فصل أيضا بين المفعول الأول الـــذى هو المضاف المحذوف ،والمفعول الثانى –الذى هو (خيرا)، والتقدير (ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم)[٣٥].

---

[٣٢] – آل العمران : ١٨٠

[٣٣] – معانى القرآن :١/ ١٠٤.

[٣٤] – إتحاف فضلاء البشر :١٨٢

[٣٥] – راجع تفسير القرطبى:٢/ ١٦٣

وقــد استشهد ابن الشجرى على عود الضمير على المصدر المدلول عليه بالفعل -بقولــه تعالى: "ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم"[٣٦]، أي: (لكــان الإيمان) ،وبقوله تعالى :" الذين قال لهم الناس إن الناس قــد جمعــوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا "[٣٧]،أى :(فزادهم قول الناس إيمانا)[٣٨] .

وقد جعل الزجاج من ذلك -قوله تعالى :" فقد كذبتم فسوف يكون لزاما "[٣٩]،فقال :" وتأويله -والله أعلم -فسوف يكون تكذيبكم لزاما"[٤٠].

وقــد تعــرض الدكــتور تمام حسان لهذه المسألة وهى عود الضــمير على المصدر المتصيد من الكلام ،وقد ساق استشهادا على ذلــك -قولــه تعالى :" وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم"[٤١]، أى :(فالإخفــاء)[٤٢] ،وقولــه تعالى :" فإن تبتم فهو خير لكم"[٤٣]، أى: (فالتوب خير لكم)،وقوله تعالى:"ولئن صبرتم لهو خير للصابرين"[٤٤]،

---

[٣٦] - آل العمران:١١٠

[٣٧] -آل العمران : ١٧٣

[٣٨] - أمالى ابن الشجرى :١/٨٢، ٢/٣٧

[٣٩] - الفرقان :٧٧

[٤٠] - معانى القرآن وإعرابه : ٤/٧٨

[٤١] -البقرة : ٢٧١

[٤٢] - الكشاف : ١/ ٣١٦

[٤٣] - التوبة :٣

[٤٤] - النحل : ١٢٦

أى:(لصـــبرهم)،أو (للصـــبر)[45]،وقولـــه تعـــالى:"ذلك ومن يعظم حـــرمات الله فهـــو خير لـــه عند ربه "[46]،أى :(فالتعظيم)[47]،ثم عقب الدكتور تمام حسان على ذلك -بقوله :" وهكذا نرى المصدر المتصيد يعود عليه ضمير الغائب -فى الآيات السابقة ،وفى كل ذلك -لم يذكر صراحة "[48].

هـــذا بعـــض مـــا ذكره النحاة والمفسرون من مواضع عود الضـــمير علـــى جزء مدلول الفعل ،وهو المصدر ، لأن الفعل -يدل علـــى المصدر والزمن ،وهذا ضرب من الإيجاز-الذى هو سمة من سمات الإعجاز القرآنى،فإن قوله تعالى : -مثلا "وإن تشكروا يرضه لكـــم" فـــيه إيجاز بليغ حيث يعود الضمير على الشكر،ولو لم يراع الإيجـــاز- لقـــيل فى غير القرآن :(وإن تشكروا فالشكر يرضاه الله لكـــم)،وكـــذا فى كل موضع يعود فيه الضمير على المصدر المدلول عليه بالفعل،وهو فى الحقيقة -محذوف كنى عنه بالضمير اختصارا .
٤- أن يذكـــر فـــي الكلام ما يستلزم المرجع استلزاما قريبا،كما فى قولـــــه تعالى :"ولأبويه لكل واحد منهما السدس"[49]،فإن الضمير فى (أبويـــه)،- يعـــود على (الميت)،حيث تستلزمه قرينه ذكر الإرث،أو

---

[45] – الكشاف : ٢/ ٦٤٥
[46] – الحج : ٣٠
[47] – الكشاف : ٣/ ١٥٤
[48] – البيان فى روائع القرآن : ١/ ١٥٠
[49] –النساء:١١.

اســتلزاما بعيدا ،كما فى قوله تعالى :" حتى توارت بالحجاب"[٥٠]،أى: (الشمس)–على قول –بقرينة ذكر (العشى)[٥١].وقد عبر ابن الشجرى، وغــيره –عن هذا الموضع– بأن الضمير يرجع إلى معلوم قام– لقوة العلــم به وارتفاع اللبس فيه بدليل لفظى أو معنوى –مقام تقدم الذكر لـــه، فأضـــمروه اختصـــارا ،أو ثقة بفهم السامع،كقوله تعالى: "حتى تـــوارت بالحجاب "،فأضمر (الشمس)،لدلالة ذكر (العشى)عليها ،من حيـــث كان ابتداء العشى بعد زوال الشمس ،ومثله قولـــه تعالى:" إنا أنزلـــناه فـــى ليلة القدر"[٥٢] ،فأضمر (القرآن)،لأن ذكر الإنزال –دل عليه،ومثله قـــوله تعالى:" فلولا إذا بلغت الحلقوم"[٥٣] ،وقولـــه تعالى: " كـــلا إذا بلغت التراقى "[٥٤] فأضمر (النفس)– فى الموضعين لدلالة ذكر (الحلقوم)،و(التراقى)–عليها[٥٥]،ومما عاد فيه الضمير إلى معلوم قد تقرر فى النفس، وارتفع به اللبس قوله تعالى :" ما ترك عليها من دابـــة "[٥٦]،فقد عاد الضمير فى (عليها)–إلى (الأرض)،وهى مفهومة مـــن الســـياق[٥٧]،وكـــذا قولـــــه تعالى:" ما ترك على ظهرها من

---

٥٠ – ص: ٣٢.

٥١ – حاشية الصبان على الأشمونى :١٠٨/١

٥٢ – القدر :١

٥٣ – الواقعة :٨٣

٥٤ – القيامة : ٢٦

٥٥ – أمالى ابن الشجرى : ٩٠/١، ٣/ ١١٧

٥٦ – النحل :٦١

٥٧ – أمالى ابن الشجرى : ٢/ ٥٠٣

دابة"[٥٨]،"كل من عليها فان"[٥٩]،فإن ذكر الدابة مع ذكر (على ظهرها)– دال علـــى أن المراد ظهر الأرض ،وكذا الفناء مع لفظة(على)، وكذا قوله تعالى :" وإن كانت واحدة فلها النصف"[٦٠]،أى: إن كانت الوارثة واحـــدة،إذ الســياق فـــى بيان الوارث [٦١]، ومما دل السياق فيه على مرجع الضمير–قوله تعالى :" وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين –ففهمناها سليمان"[٦٢]،قال الزمخشـــرى فـــيما يعـــود عليه الضمير فى (فهمناها):" للحكومة أو الفتوى"[٦٣]،وقال القرطبى :"أى: فهمناه القضية والحكومة ،فكنى عنها، إذ سبق ما يدل عليها"[٦٤].

ومما دل فيه السياق والمعنى –على مرجع الضمير–قوله تعالى :" فلا أقسم بالخنس –الجوار الكنس –والليل إذا عسعس –والصبح إذا تنفس –إنه لقول رسول كريم –ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ومـــا صاحبكم بمجنون –ولقد رآه بالأفق المبين –وما هو على الغيب بضنين –وما هو بقول شيطان رجيم – فأين تذهبون –إن هو إلا ذكر

---

[٥٨] – فاطر :٤٥.

[٥٩] – الرحمن:٢٦.

[٦٠] – النساء : ١١

[٦١] – شرح الكافية : ١/٢

[٦٢] – الأنبياء : ٧٨، ٧٩

[٦٣] – الكشاف : ٣/ ١٢٨

[٦٤] – تفسير القرطبى : ٤٤٨٦/٦

للعالمين ٠لمن شاء منكم أن يستقيم "[٦٥]، فقد تكرر ضمير الغائب فى هذه الآيات ،وذلك فى قوله :(إنه)،(رآه)،(وما هو)،(إن هو)– دون أن يـتقدم عليه مرجعه،وإنما دل السياق على المرجع–بالإشارة إليه بعد الضــمير،كما فــى قولــه : (مجنون)،(بالأفق) ، (ضنين) ،(قول)، (ذكر)،فكل كلمة من هذه الكلمات –تشير إلى المقصود بالضمير "[٦٦].

فالضــمير فــى (إنه)–للقرآن ،وفى (رآه)–للرسول – صلى الله عليه وســلم ،ولجــبريل –علــيه السلام– والمعنى :(رأى محمد جبريل – علــيهما الصلاة والسلام)،و(ما هو)–للرسول –صلى الله عليه وسلم ، و(وما هو بقول)للقرآن ،وكذلك الضمير فى (إن هو)[٦٧].

ومما دل فيه السياق والمعنى على مرجع الضمير –قوله تعالى: "فمن عفــى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان"[٦٨]،قال العكــبرى –فــى بــيان مــرجع الضــمير فى (إليه): "أى: إلى ولى المقتول"[٦٩] ،ويوضح أبو حيان مرجع الضمير ،فبين أنه العافى، وهو مفهــوم مــن قوله تعالى :" فمن عفى " ،لأن فى (عفى)– دلالة على العــافى ،فيكون نظير قوله تعالى :" حتى توارت بالحجاب"[٧٠]،إذ فى (العشى)–دلالة على نظيره:(الشمس)[٧١].

---

[٦٥] التكوير : ١٥ / ٢٨

[٦٦] –البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان : ١٥٠/١

[٦٧] – تفسير النسفى : ٤/ ٣٣٦ ، ٣٣٧

[٦٨] – البقرة : ١٧٨.

[٦٩] – إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٧٨

[٧٠] – ص: ٣٢

[٧١] – البحر المحيط : ١٤/٢ ،وراجع الهمع للسيوطى : ٦٥/١، ٦٦

ومما تعددت فيه أقوال النحاة والمفسرين– حول مرجع الضمير – قوله تعالى:" والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير "[٧٢]وقال أبو البقاء العكبرى :" الهاء تعود على النصر ،وقيل :على الولاء والتأمر" [٧٣]،وقال النسفى :" إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا "[٧٤]،وقال أبو حيان :" الضمير المنصوب فى (تفعلوه)–عائد على الميثاق ،أى : على حفظه ،أو على النصر،أو على الإرث، أو على مجموع ما تقدم"[٧٥]،ويرجع تعدد الأقوال –فى مرجع الضمير هنا –إلى أن الآية السابقة –تحتمل كل هذه الأقوال – وهى قوله تعالى:" إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولا يتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير"[٧٦] .

ومما يحتمل فيه عود الضمير على ما يفهم من السياق –قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن

---

[٧٢] –الأنفال :٧٣

[٧٣] إملاء ما من به الرحمن :١١/٢

[٧٤] – تفسير النسفى :١١٣/٢

[٧٥] – البحر المحيط : ٤/ ٥٢٢

[٧٦] – الأنفال :٧٢

تكـــون تجارة عن تراض منكم "[77]،قال العكبرى : "(تجارة)–بالرفع على أن (كان)– تامة ،وبالنصب على أنها الناقصة،والتقدير: (إلا أن تكـــون المعاملـــة،أو الـــتجارة –تجارة)،وقيل :تقديره –(إلا أن تكون الأموال –تجارة)[78]،وعلى القول بأن مرجع الضمير –(الأموال)–يكون المـــرجع مصرحا به،وعلى قراءة الرفع –يكون التقدير (إلا أن تقع تجـــارة)،ومـــن ثم لا ضمير فيها ،أما على قراءة النصب –فإن اسم (تكـــون)–وهـــو الضـــمير المســـتتر فى حاجة إلى مرجع،وقد قدره الزمخشرى وغيره:(إلا أن تكون التجارة تجارة)"[79] ،والرفع –قراءة ابـــن كثـــير،ونافع،وأبى عمرو،وابـــن عامر،والنصـــب قراءة حمزة والكسائى وعاصم [80].

وتجـــدر الإشـــارة إلـــى أن الاســـتثناء فى هذه الآية على القراءتيـــن – مـــنقطع،لأن التجارة عن تراض –ليست من أكل أموال الناس بالباطل .[81]

هـــذه بعض المواضع –فى القرآن الكريم– التى لم يذكر فيها مرجع الضـــمير صـــراحة ،بل دل عليه المعنى،ولذلك عدوه من قبيل التقدم المعـــنوى لمـــرجع الضـــمير ،وقد رأينا أن للتقدم المعنوى–صورا

---

[77] – النساء : ٢٩.

[78] – إملاء ما من به الرحمن :١/ ١٧٧

[79] – الكشاف : ٥٠٢/١،وتفسير النسفى ٢٢١/١

[80] – الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى : ٣١/٣

[81] –المرجع السابق.

متعددة، وهى الرتبة ،ودلالة الحس عليه،ودلالة الفعل المذكور عليه: بـأن يكـون مصدرا مفهوما من هذا الفعل ،ودلالة السياق عليه: بأن يسـتلزمه السياق استلزاما قريبا أو بعيدا أو مفهوما من السياق العام وفـى هذا كله تنوع ،وعمق فى معطيات النص القرآنى ،كلما كثرت الاحـتمالات فـى تفسـير النص،كثر العطاء الدلالى والمعنوى،ولا تـناقض أو تعارض بين ما رأيناه حول مرجع الضمير -فيما ذكرناه مـن آيـات ،بل تتضافر وتتعاون هذه الاحتمالات فى إثراء المعنى وتنويعه .

ثالثا -التقدم الحكمي :

والمقصـود بالتقدم الحكمى-كما يقول الرضى :" أن يكون المفسر -مؤخراً لفظا،وليس هناك ما يقتضى تقدمه على محل الضمير-إلا ذلك الضـمير ،فتقول :إنه -وإن لم يكن متقدما على الضمير لا لفظا ولا معـنى -إلا أنه فى حكم المتقدم-نظرا إلى وضع ضمير الغائب"[٨٢] ، وهذا الضمير -هو المجهول الذى يلزمه التفسير -إما بالجملة ، وإما بالمفـرد المنصوب،فالمفسـر بالجملـة -ضمير الشأن فى نحو قوله تعـالى: " قل هو الله أحد "[٨٣]،وضمير القصة فى نحو قولـه تعالى: "فـإذا هـى شاخصـة أبصـار الذين كفروا "[٨٤]،والمفسر بالمفرد

---

[٨٢] - شرح الكافية :٢/ ٥

[٨٣] - الإخلاص :١

[٨٤] - الأنبياء:٩٧

المنصـــوب نحـــو قولـــه تعالى :-"بئس للظالمين بدلا"[85]،فالأصل : (بـــئس الـــبدل)[86]،وقـــد ذكر ابن أبى ربيع -أربعة أبواب يعود فيها الضـــمير علـــى مـــتأخر لفظا ورتبة ،وهى ضمير الشأن أو القصة، والضمير فى باب (نعم)،و(بئس)،وفى باب الإعمال -يريد التنازع - إذا أعمـــل الـــثانى ،والأول يطلـــب عمدة ،نحو: (ضربنى وضربت زيدا)، والضمير فى (ربه رجلا)،ثم يعقب على هذه الأبواب الأربعة -بقولـــه :" وهـــذا خـــارج عن القياس ،فلا يقاس على هذه الأبواب الأربعة - غيرها"[87]،وزاد ابن هشام ثلاثة مواضع أخرى ، وهى :أن يكـــون مخـــبرا عنه بما يفسره ،نحو قوله تعالى: "وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا"[88]"،فالتقدير (إن الحياة إلا حياتنا الدنيا)،وأن يكون مبدلا منه -اسم ظاهر ،نحو : (رأيته زيدا)،وأن يكون متصلا بفاعل مقدم ، حيث يفسره المفعول المؤخر،نحو : (ضرب غلامُه زيدا)،وذلك على مذهب الأخفش،وابن جنى ،وأبى عبد الله الطوال من الكوفيين .[89]

هـــذه هى صور تقدم مرجع الضمير الثلاث :وهى -التقدم اللفظى ، والتقدم المعنوى ،والتقدم الحكمى ،وقد عرضنا لكل صور منها نماذج من القرآن الكريم،وبينا آراء النحاة والمفسرين حولها،وما تكشف عنه من وجوه الإعجاز فى النص الكريم .

---

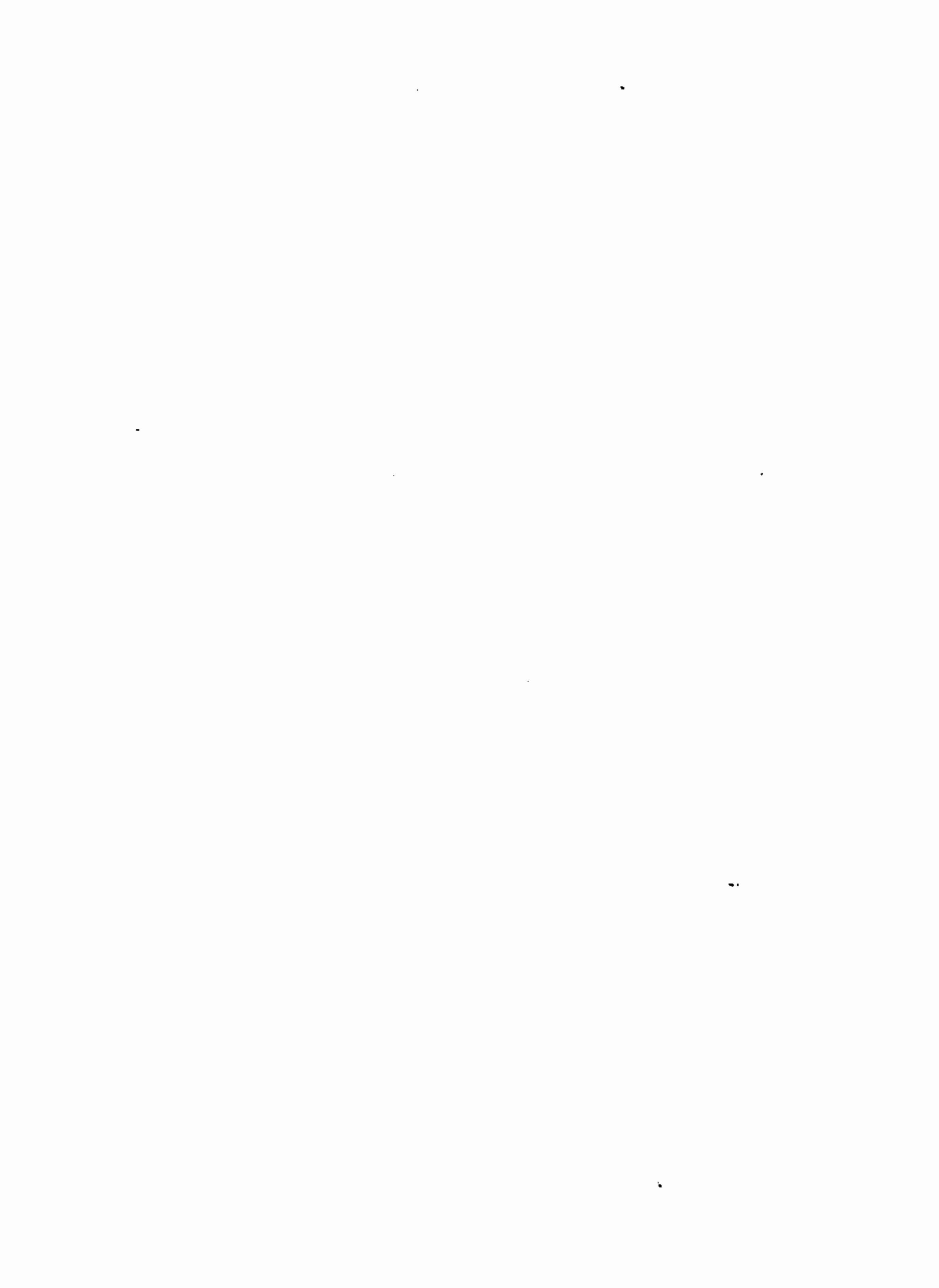
[85] – الكهف :٥٠

[86] – أمالى ابن الشجرى :٩١/١، ٩٢

[87] – البسيط فى شرح الجمل : ١/ ٣٠٣

[88] – الأنعام :٢٩

[89] – مغنى اللبيب : ٥٦٢/٢ :٥٦٦



الفصل الثاني

من أسرار المخالفة بين الضمير ومرجعه



الفصل الثانى

من أسرار المخالفة بين الضمير ومرجعه

هـــذا هـــو القســـم الـــثانى من قسمى البحث ،وفيه نتناول ما ظاهره المخالفـــة بيـــن الضمير ومرجعه- فى القرآن الكريم ،موضحين سر هـــذه المخالفـــة،وما لها من أثر فى تنوع الأسلوب ،وعمق الدلالة ، وذلـــك بعـــد أن عالجنا فى القسم الأول- قضايا مرجع الضمير ،من حيـــث التصـــريح به،وحذفـــه ،لدلالة المعنى والسياق عليه، وسوف نعـــرض بعـــض ما ورد فى القرآن الكريم مما ظاهره المخالفة بين الضمير ومرجعه.

وقـــد تتخذ هذه المخالفة صورا شتى ، فقد نرى ضمير المفرد المذكـــر – يعود على ما ينبغى تأنيثه، وقد نرى ضمير المفرد-يعود علـــى المثـــنى،كما نـــرى ضمير الجمع يعود علي المثنى،كما نرى ضـــمير الجمع يعود على المفرد أو المثنى،وهكذا تتنوع المخالفة بين الضمير ومرجعه-فى القرآن الكريم،وسوف نرى -إن شاء الله تعالى -أن مـــا نراه مخالفة -فى الظاهر- هو فى الحقيقة مطابقة بوجه من الوجوه،ولـــيس شىء منها خارجا عن قواعد اللغة،وعن سنن العرب فى البيان والتعبير،بل نرى من وراء هذه المخالفة-أسرارا كامنة تدل على الإعجاز القرآنى .

وســوف نتــتهى إلى أن شرط المطابقة بين الضمير ومرجعه – فى القــرآن الكــريم –مــتحقق ، غير أن التميز فى الأسلوب القرآنى – يقتضـــى ما نراه من هذه المخالفة،ونحن نعلم أن شرط الإضمار –أن يكــون بيــن الضمير ومرجعه– مطابقة فى اللفظ والقصد،بحيث لو عدلــنا عــن الإضمار إلى الإظهار –لحصلنا على اللفظ نفسه،وعلى المدلــول نفســه ،أى :لو كان لدينا جملة مثل :(ذهب زيد إلى بيته)، فســأل ســائل :(بيت من ؟) كان الجواب .(بيت زيد المذكور)،فحل (زيد) المذكور – محل الضمير دالا على ما دل عليه الضمير .[90] .

ولــيس هــدف البحــث –إحصاء كل ما ورد فى القرآن مما ظاهره المخالفة بين الضمير ومرجعه، بل حسبنا من ذلك –ما نقيم به الدليل علــى الكشف عن الأسرار اللغوية الكامنة وراء هذه المخالفة ،وبيان مــا للأســلوب القــرآنى من خصائص ومميزات ،وفيما يلى نحاول تصنيف صور المخالفة بين الضمير ومرجعه :

مراعاة المعنى

وهــنا نتناول بعض الكلمات التى لفظها يخالف معناها إفرادا وتثنية وجمعــا،أو تذكيرا وتأنيثا،فقد يكون لفظ الكلمة مفردا،ولكنها تدل على مثــنى أو جمع،وقد يكون لفظها مذكرا،ولكنها تدل على مؤنث ،وإذا عاد الضمير إلى مثل هذه الكلمات –فقد يراعى معناها،فيعود الضمير

---

[90] – البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان : ١٣٨/١

إلــيها مؤنـــثا،أو مجموعا،ومـــن هـــذه الكلمات :(مَن)-التى تستعمل موصـــولة،أو شـــرطية ،أو نكرة موصوفة ،فإننا نرى الضمير تارة يعـــود علـــيها مفـــردا مذكرا،وتارة مفردا مؤنثا ،وتارة مجموعا،قال ســـيبويه :"هـــذا باب إجرائهم صلة(مَن)،وخبره - إذا عنيت اثنين - كصلة(اللذين)،وإذا عنيت جميعا-كصلة (الذين).

فمـــن ذلك -قوله -عز وجل ":ومنهم من يستمعون إليك"[91]،ومن ذلك قول العرب -فيما حدثنا يونس:(مَن كانت أمَّك)،و(أيهن كانت أمك)- ألحـــق تاء التأنيث لما عنى مؤنثا،كما قال :(يستمعون إليك)حين عنى جمـــيعا، وزعـــم الخليل -رحمه الله -أن بعضهم قرأ: " ومَن تقنت منكن لله ورسوله "[92] "،فجعلت كصلة (التى)-حين عنيت مؤنثا ،فإذا ألحقت التاء فى المؤنث- ألحقت الواو والنون فى الجميع "[93].

فقـــد بين سيبويه -أن الضمير -قد يعود على (من)مؤنثا-إذا قصد بها المؤنـــث،وقد يعـــود عليها مجموعا -إذا قصد بها الجمع ،أما القراءة الـــتى رواها الخليل -بتأنيث (تقنت)-فليست من القراءات السبع ،قال ابـــن مجـــاهد:"قرأ ابن كثير،ونافع ،وأبو عمرو،وابن عامر،وعاصم: (يقنـــت)-بالـــياء،و(تعمـــل)- بالتاء ،(ونؤتها)- بالنون،وقرأ حمزة، والكســـائى -كـــل ذلـــك بالـــياء،ولم يختلف الناس فى(يقنت)-أنها

---

[91] - يونس :٤٢

[92] -الأحزاب :٣١.

[93] -الكتاب : ٤١٥/٢، ٤١٦

بالياء"[٩٤]،ولكن القرطبى نسبها إلى يعقوب[٩٥]،ولم يذكرها ابن جنى فى الشـواذ،بل ذكـر القراءة بالتاء ـفى قوله تعالى :" يا نساء النبى من تـأت منكـن"[٩٦] ،ونسبها إلى عمرو بن فائد الأسوارى ،ورويت عن يعقوب،ثـم قـال " هـذا حمل على المعنى،كأن (من)هنا ـامراة فى المعـنى ،فكأنه قال (أية امرأة أتت منكن بفاحشة ،أو تات بفاحشة "[٩٧] فقـد عاد الضمير ـفى هاتين الآيتين ـعلى (من) الشرطية ـمؤنثا ، مـراعاة لمعـناها ،كمـا عـاد إليها الضمير مذكرا أيضا ،مراعاة للفظهـا،ولا فـرق فـى ذلك بين (من)الموصولة،والشرطية،والنكرة الموصـوفة،إذ هـى ـفى الحالات الثلاث ـلفظ مفرد عام يطلق على الواحد والمثنى والجمع،وعلى المذكر والمؤنث .

ومـن ذلـك - قوله تعالى :" ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخـر ومـا هم بمؤمنين "[٩٨] قال أبو بكر بن الأنبارى :" إذا قلت : (مـن الرجال مَن يقوم)-كان لك ثلاثة أوجه :(من الرجال من يقوم)، و(مـنهم من يقومان)،و(منهم من يقومون)،وإذا وحدت (يقوم)-فلك فـى (مـن) ثلاثـة معان :يجوز أن تكون فى معنى واحد- فأخرج (يقوم)على اللفظ والمعنى،ويجوز أن تكون فى معنى اثنين،وفى معنى

---

[٩٤] - السبعة فى القراءات : ٥٢١ .

[٩٥] - تفسير القرطبى :٥٤٤٥/٨.

[٩٦] - الأحزاب :٣٠.

[٩٧] - المحتسب :١٧٩/٢.

[٩٨] -البقرة :٨.

جمع،فأخـــرج الفعل على لفظها ،ولم يخرج على معناها"،ثم استشهد بقوله تعالى :" ومنهم من يستمعون إليك"[99]فبين أن الفعل أخرج على معــناها -يعنى عاد الضمير فيه على معنى (من)،ثم استشهد بقولـــه تعالى:" ومنهم من ينظر إليك"[100]-يريد أن الضمير فى ينظر)- يعود علـــى لفظ (من)[101]،وقال العكبرى -عند إعرابه لقوله تعالى :" ومن الـــناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " :" و(من) موحـــدة اللفـــظ وتستعمل فى التثنية .،والجمع ، والتأنيث -بلفظ واحد، والضـــمير الراجع إليها -يجوز أن يفرد حملا على لفظها ،وأن يثنى، ويجمـــع ،ويؤنـــث -حملاً على معناها،وقد جاء -فى هذه الآية- على الوجهيـــن ،فالضـــمير فـــى (يقـــول)-مفـــرد وفـــى (آمنا)،و(هم)- جمـــع"[102]،وتجدر الإشارة إلى أن (من)-هنا -نكرة موصوفة،وجملة (يقـــول)-صـــفة لها ،ويضعف أن تكون بمعنى (الذى)،لأن(الذى)- يتـــناول أقواما بأعيانهم،والمعنى هاهنا -على الإبهام، والتقدير (ومن الناس فريق يقول)"[103].

وخلاصـــة الأمـــر أن (مـــن)-موصولة كانت ،أو شرطية ،أو نكرة موصـــوفة-يجـــوز أن يعود الضمير عليها مفردا مذكرا،حملا على

---

[99] - يونس :٤٢

[100] - يونس :٤٣

[101] - المذكر المؤنث : ٢/٢٦٢/ ٢٦٣

[102] - إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١٦

[103] - المرجع السابق

لفظهـــا،ويجوز أن يعود عليها مفردا مؤنثا،أو مثنى،أو مجموعا،حملا علـــى معناها،وكثـــيرا ما يراعى الأمران فى القرآن الكريم،كما فى قولـــه تعالى :" مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون"[١٠٤]،وقوله تعالى:"بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحـــزنون "[١٠٥]،وقوله تعالى: "ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون"[١٠٦]، ومـــثل هـــذا كثير فى القرآن الكريم ،وقد يراعى معناها فقط،كما فى قولـــه تعالى : " ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلـــك[١٠٧]" ،فقد عاد الضمير – فى هذه الآية –إليها –على الجمع حملا على المعنى.[١٠٨].

وعـــود الضمير على معنى اللفظ –فى القرآن الكريم أمر شائع ،ولم يقتصـــر على (مَن) وحدها ،بل هناك كلمات كثيرة يختلف لفظها عن معناها أو مضمونها ،من حيث التأنيث والتثنية والجمع،فقد نجد كلمة لفظهـــا مفـــرد مذكر،ولكن يعود الضمير إليها جمعا،وقد يكون لفظها مثنى ،ويعود الضمير إليها جمعا كذلك،وقد يكون لفظها مفردا مؤنثا ،

---

[١٠٤] – البقرة :٦٢

[١٠٥] – البقرة : ١١٢

[١٠٦] – الحجرات : ١١

[١٠٧] – الأنبياء :٨٢

[١٠٨] – راجع المقتضب للمبرد: ٣/ ٢٥٢ ،٢٥٣،وأمالى ابن الشجرى: ٢/ ٤٠ ، ٤١ ، ٣ /٦٣، ٦٤، وتفسير النسفى : ٤/ ١٧١.

ويعود الضمير عليها مفردا مذكرا،أو جمعا،بل قد يكون لفظها جمعا، ويعـــود الضـــمير إلى مفردها ،وهكذا فإن مراعاة المعنى فى إعادة الضمير،أو فى مرجعه– أمر شائع فى اللغة ،ولا غرابة فيه، بل -يدل على سعة أفق اللغة العربية وتنوع أنماطها التعبيرية،ولنذكر توضيحا لما ذكرناه -نماذج من القرآن الكريم .

ومما عاد فيه الضمير إليه مجموعا مراعاة لمعناه،لأن لفظه مفرد -ما يلى:

١–قو له تعالى :" ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات "[١٠٩]، فقـد جمـع ضـمير المؤنث فى (سواهن)،وهو يعود على (السماء)، ولفظهـا مفـرد مؤنـث ،وقد أوضح الفراء والزجاج وابن الشجرى والعكبرى والسمين الحلبى– علة ذلك بأن (السماء - في معنى جمع، ويجـوز أن تكون (السماء) - جمعا ، كما أن (السماوات) -جمع، كـأن واحـده (سماءة) ويقيس ابن الشجرى - على قولهم (حمام)، و(حمامـة)، و(سـحاب)،و(سـحابة)،ويسـتدل علـى ذلك بأن لفظ (السـحاب)-قـد اسـتعمل جمعـا،فى قوله تعالى :" وينشئ السحاب الـثقال"[١١٠]،وإن كان جاء وصفه بالواحد فى قوله تعالى: " والسحاب المسـخر بيـن السـماء والأرض "[١١١]،فالسحاب ،والحمام،والنخل ،

---

[١٠٩] – البقرة :٢٩.

[١١٠] – الرعد :١٢.

[١١١] – البقرة : ١٦٤.

والشجر ،وما أشبههن.مما وقع الفرق بينه وبين واحده -بتاء التأنيث - فليســت بجمــوع حقيقة ،وإنما هن -أسماء للجمع ،فذلك يجوز فيه - التذكــير والتأنيث ،وقد أستشهد ابن الشجرى-على ذلك -بهذه الآية ، وبقوله تعالى:" فقضاهن سبع سماوات "[112]،بعد قوله :" ثم استوى إلى الســماء وهى دخان "[113]،وبذلك يجعلون لفظ (السماء)-من قبيل اسم الجــنس الجمعى، فيعامل معاملة المفرد،ومعاملة الجمع [114]،وقد رجح الزمخشرى أن يكون (سبع سماوات)-تفسيرا للضمير -يعنى تمييزا ، فالضــمير- علــى هذا -مبهم،لا مرجع له ونظيره:(ربه رجلا)،وقد عقــب الزمخشــرى -بعد أن ذكر الأقوال الأخرى -بقوله:" والوجه العربى -هو الأول "[115]،ونحن نرى أن ما ذهب إليه الفراء،والزجاج، وابــن الشــجرى،والعكبرى والســمين الحلبى،وغيرهم - هو الأصح والأقيس- فى العربية ،لأن استعمال اسم الجنس الجمعى جمعا، بحيث يعــود الضــمير علــى معناه-أمر شائع فى القرآن الكريم،وفى كلام العــرب،وأما عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة-فهو مسموع فى مواضع محددة،ولا يقاس عليها، وحمل الشيء على المقيس -أولى من حمله على غير المقيس.

---

[112] - فصلت :١٣

[113] - فصلت :١١

[114] - معانى القرآن للفراء :١/ ٢٥ ،ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ١٠٧ ،وأمالى ابن الشجرى: ٢/ ٤٧، ٤٨ ، ٩٤/٣، وإملاء ما من به الرحمن : ٢٧١ ، والدر المصون ٢٤٣/١.

[115] - الكشاف : ١/ ١٢٣

٢- قولـــــه تعــالى :" قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيــتم أو يحاجوكم عند ربكم "[١١٦]،قال الزمخشرى : "والضمير فى (يحــاجوكم)- لـــــ(أحد)،لأنه فى معنى الجمع"[١١٧]،وقد وضح الشيخ أحمــد بن المنير ذلك -بقوله :"أى :حيث كان نكرة فى سياق النفى "، واستشـــهد بقوــله تعــالى:" فما منكم من أحد عنه حاجزين "[١١٨]،فقد وصـــف كلمـــة (أحد)-بالجمع [١١٩] ،والفعل: (يحاجوكم) - معطوف على: (يؤتى) [١٢٠]،والمقصود بما ذكره ابن المنير من وقوع (أحد)فى سياق النفى -فى قوله تعالى:" أن يؤتى أحد "-وقوعه فى سياق النهى، إذ هو شبه النفى -فى قوله تعالى:" ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم".

٣- قولـــه تعالى:"فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم"[١٢١]،فقد اختلفوا فى مرجع ضمير الجمع فى (ملئهم)،إذ ليس فى الكلام مرجع يطابقه ،حيث لم يقل: (ملئه)-عودا إلى (فرعون)،أو (ملئها)-عودا إلى (ذرية) ،فذكر القرطبى فى مرجع الضمير -ستة أوجه :

---

[١١٦] - آل عمران : ٧٣

[١١٧] -الكشاف : ٣٧٣/١

[١١٨] - الحاقة: ٤٧.

[١١٩] - الانتصاف بذيل الكشاف : ٣٧٣/١

[١٢٠] - إملاء ما من به الرحمن : ١٣٩/١

[١٢١] - يونس :٨٣ .

أحدهــا -أنــه يعــود على (فرعون) ،وقد جمع الضمير له -لما كان جبارا.

الثانى -أنه يعود على (فرعون)مع من كانوا يصاحبونه من حاشيته.

الثالث -أنه يعود على (فرعون)،باعتباره رأس القوم،كما أن (ثمود)- يطلق على القبيلة أو الجماعة .

الــرابع -أنــه يعود على مضاف محذوف ،أى :(على خوف من آل فرعون)،على حد قوله تعالى :" واسأل القرية "[122].

الخــامس -أنه يعود على (ذرية) ،أى :(من ملأ الذرية)، حملاً على المعنى .

السادس :أنه يعود على (قومه).[123].

وهــذه احتمالات ذكرت فى مرجع الضمير ،لا تتعارض مع المعنى غــير أن بعضــهم أنكر عود الضمير على المضاف المحذوف ،قال العكبرى : "وهذا عندنا غلط ،لأن المحذوف -لا يعود إليه ضمير ، إذ لــو جاز ذلك -لجاز أن تقول :(زيد قاموا)وأنت تريد : (غلمان زيد قاموا)"[124]..

والحــق أن عــود الضمير على المضاف المحذوف - لا يمتنع على إطلاقــه ،بل يمتنع إذا لم يدل على المحذوف دليل ،أما إذا دلت قرينة

---

[122] - يوسف: ٨٢.

[123] - تفسير القرطبى :٤/ ٣٢٩٦ ، ٣٢٩٧ .

[124] - إملاء ما من به الرحمن : ٣٢/٢ .

السياق عليه -فلا مانع من عود الضمير عليه،كما فى الآية الكريمة، إذ الحديث عن (فرعون)- ينطبق أيضا على قومه، أو أتباعه، بخلاف المثال -الذى ذكره العكبرى -فليس على المضاف المحذوف دليل .

٤- قوله تعالى :" وكل أتوه داخرين" [١٢٥]فقد جمع الضمير فى (أتوه)،وهو عائد على (كل)-وهو لفظ مفرد -إلا أن معناها -الجمع،قال المبرد :" وليس الحمل على المعنى -ببعيد،بل هو وجه جيد "[١٢٦].

٥- قوله تعالى :" وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا"[١٢٧]، فقد عاد ضمير الجمع فى (شفاعتهم)-على (ملك)- وهو مفرد فى اللفظ ،غير أن وقوعه فى سياق (كم)-الخبرية ، الموضوعة للكثرة -جعله يدل على الجمع ،قال الزجاج :" جاء (شفاعتهم)-واللفظ لفظ واحد،ولو قيل :(شفاعته)- لجاز،ولكن المعنى- معنى جماعة، لأن (كم)-سؤال عن عدد وإخبار بعدد كثير،لأن (رب)-للقلة ، و(كم)-للكثرة"[١٢٨].

وإذا عاد الضمير المجموع -إلى ما معناه الجمع- وإن كان مفردا فى اللفظ -فإننا قد نرى فى القرآن الكريم -على العكس من ذلك ،أى :

---

[١٢٥] - النمل : ٨٧

[١٢٦] - المقتضب :٢/٢٩٧،وأمالى ابن الشجرى : ١/٥٩

[١٢٧] - النجم : ٢٦

[١٢٨] - معانى القرآن وإعرابه : ٥/ ٧٣، ٧٤.

نــرى ضــمير المفرد المذكر -يعود على الجمع،ولكن لا يعود على لفظــه،إذ لــو عاد على لفظه-لعاد مؤنثا،بل يعود على مفرده،ولعلنا نرى ذلك في موضعين من القرآن الكريم :

١- قولــــه تعالى : " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا" [١٢٩]، فإن الضمير في (منه) - يعود على (الصدقات) .

وقد ذكر الزمخشرى في تحديد مرجعه - احتمالين : .

أحدهمــا - أن الضمير فى (منه) - جار مجرى الإشارة، كأنه قيل : (عــن شيء من ذلك) ، كما قال الله تعالى : " قل أؤنبئكم بخير من ذلكم" [١٣٠] ،بعد ذكر (الشهوات).

والآخــر - أنــه يــرجع إلــى ما هو فى معنى (الصدقات) ، وهو (الصــداق) ، لأنــك لــو قلت : (وآتوا النساء صداقهن) - لم تخل بالمعــنى [١٣١]،وجعلــه العكــبرى - يعــود علــى (المــال) ، لأن (الصدقات)- مال [١٣٢].

٢- قوله تعالى:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾[١٣٣] فقــد عــاد الضمير المفرد المذكر فى (بطونه)- إلى(الأنعام) ، وهو

١٢٩- النساء : ٤ .

١٣٠-آل عمران : ١٥.

١٣١-الكشاف : ١/ ٤٧٠، وتفسير القرطبى : ٢/ ١٦٩٠.

١٣٢-إملاء ما من به الرحمن : ١/ ١٦٧.

١٣٣-النحل : ٦٦.

جمـــع تكسير ، والقياس أن يعود الضمير عليه مفردا مؤنثا ، كما فى الآية الأخرى " وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها"[134]، وقد تعددت الأقوال في بيان الحكمة من إفراد الضمير وتذكيره ، فقال سـيبويه : وأمـــا (أفعال) – فقد يقع للواحد ، من العرب من يقول : (هو الأنعام) ، وقال عز وجل : " نسقيكم مما فى بطونه "، وقال أبو الخطـــاب : سمعت العرب يقولون: (هذا ثوب أكياش) "[135] ، ويذكر الفراء فى مرجع الضمير – قولين :

أحدهمـــا – أن الـــنعم والأنعام – شيء واحد ، وهما جمعان ، فرجع التذكير إلى معنى النعم ، إذ كان يؤدى عن الأنعام.

والآخــــر – وهـــو قـــول الكسائى – وهو أن التقدير : (فى بطون ما ذكرناه) ، ثم عقب الفراء عليه – بقوله : " وهو صواب" .[136]

وقال الزمخشرى : " يجوز فى (الأنعام) – وجهان :

أحدهما – أن يكون تكسير (نعم) ، كـــ (أجبال) فى (جبل).

والآخر – أن يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كـــ (نعم ، فإذا ذكر – فكما يذكر (نعم) ، في قول الشاعر :

فى كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونـــه

وإذا أنث ففيه وجهان :

134–المؤمنون : 21.

135–الكتاب : 3/ 230.

136–معانى للقرآن : 2/ 108، 109.

أحدهما – أنه تكسير (نعم) .

والثانى – أنه فى معنى الجمع " .[137]

وقـــد استشهد ابن الشجرى بهذه الآية على جواز عود الضمير على جمـــع التكســـير – مفـــردا مذكرا، مراعاة لمفرده ، ومفردا مؤنثا ، مراعاة للفظه ، وذلك فى معرض حديثه عن قول الشاعر :

بـــال سهيل فى الفضيخ ففســـــد

وطاب ألبان اللقاح وبرد

ذكر الضمير الذي فى (برد) ، لأنه أعاده إلى (اللبن) فأما ما جاء فى التنزيـــــل– من عـــود الضمير مذكرا بعد جمع – فى قوله تعالى : ﴿نســـقيكم مما فى بطونه ﴾– فإن الضمير – أعيد إلى (النعم) ، وهو واحد (الأنعام) ، وهو مع تذكيره – يوقع على جماعة الإبل.[138]

وذكر أبو البقاء العكبرى – فى مرجع الضمير– ستة أوجه:

أحدهـــا – أن (الأنعام) – تذكر وتؤنث ، فذكر الضمير على إحدى اللغتين .

والثانى – أن (الأنعام) – جنس ، فعاد الضمير إليه على المعنى.

الثالث – أن واحد (الأنعام) – (نعم) ، والضمير عائد على واحده.

١٣٧–الكشاف : ٢/ ٦١٥.

١٣٨–أمالى ابن الشجرى : ٣/ ٩٥، وانظر البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لأبى البركات بن الأنبارى : ٧٠.

الرابع – أنه عائد على المذكور ، فتقديره : (مما فى بطون المذكور).

والخامس – أنه يعود على البعض الذي له لبن منها .

السادس – أنه يعود على الفحل ، لأن اللبن – يكون من طرق الفحل الناقة ، فأصل اللبن – ماء الفحل ، وقد ضعف العكبرى هذا الوجه الأخير ، لأن اللبن – وإن نسب إلى الفحل– فقد جمع البطون، وليس فحل الأنعام – واحدا، ولا للواحد – بطون.[139]

وقد وافق أبو حيان – ابن مالك – فى جواز عود الضمير على مفرد الجمع ، واستشهد بكلام العرب : (هو أحسن الفتيان وأجمله)، لأنه بمعنى (أحسن فتى) ، فأفرد الضمير، حملا على المعنى ، ثم استشهد بكلام ابن مالك – فى شرح التسهيل– وهو : "وإلى نحو هذا أشرت بقولي : أو لسد واحد مسدهم " ، ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿ نسقيكم مما فى بطونه﴾،وقول الراجز:(وطاب ألبان اللقاح وبرد)، لأن (النعم) ، و(اللبن) – يسدان مسد (الأنعام) ، و(الألبان)"[140].

وقد يعود ضمير الجمع – فى القرآن الكريم – على ما يدل على المثنى – إما بمعناه : بأن يكون لفظه مفردا، أو بلفظه : بأن يكون بلفظ المثنى ، وقد نجد ذلك فى مواضع منها :

١٣٩–إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٨٣.

١٤٠– التذييل والتكميل فى شرح التسهيل : ٢/ ١٤٩.

١- قولـــه تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ - إِذْ دَخَلُــوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْــضٍ﴾[١٤١]، فقــد عــاد ضمير الجمع فى (تسوروا) ، و (دخلوا)، و(مــنهم) ، و(قالوا) - على (الخصم)، وهو مفرد فى اللفظ ، إلا أنه يــدل علـــى المثنى، بدليل سياق القصة عليه ، وقد ساق سيبويه-هذه الآية - فى معرض حديثه عن معاملة المثنى - معاملة الجمع ، فقال: " وقد قالت العرب فى الشيئين اللذين كل واحد منهما - اسم على حدة وليس واحد منهما - بعض شىء ، كما قالوا فى (ذا) ، لأن التثنية - جمع "[١٤٢] ، وقال القرطبى : " وقيل : (تسوروا) - وإن كانا اثنين - حمــلا علـــى (الخصــم)، إذ كان بلفظ الجمع - يريد اسم الجمع - ومضارعا له ، مثل : (الركب)، و(الصحب)"[١٤٣]

٢-قولــــــه تعـــالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَــيْءٍ وَمَــنْ رَزَقْــنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْــتَوُونَ﴾[١٤٤]، فقــد عــاد ضمير الجمع فى (يستوون) - إلى العبد المملـــوك و (ومن رزقناه) ، ولو جاء الضمير مطابقا للفظ - لقيل : (هل يستويان)، ولكنه - تعالى- أراد المعنى ، قال الزمخشرى: " لم قيل : (يستوون) - على الجمع ؟ قلت : معناه - (هل يستوى الأحرار

١٤١- ص : ٢١/ ٢٢.

١٤٢-الكتاب : ٣/ ٦٢٢، ٢/ ٤٤٨.

١٤٣-تفسير القرطبى : ٨/ ٥٨٠٦.

١٤٤-لنحل : ٧٥.

والعبيد)"[١٤٥]، وقال النسفى : " جمع الضمير ، لإرادة الجمع ، أى : لا يستوى القبيلان ."[١٤٦].

٣-قولــــه تعـــالى : ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾[١٤٧] ، فقد عـــاد ضمير الجمع فى (اختصموا) - إلى لفظ المثنى : (خصمان) ، لأن الخصـــمين - كمـــا يقول الزجاج- المؤمنون والكافرون ، فهما جمعان ، ولذلك جمع الضمير .[١٤٨]

٤-قولـــــه تعالى :﴿ قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون﴾[١٤٩]، فقــد خاطـــب المثنى : موسى ، وهارون - عليهما السلام- بضمير الجمـــع - فـــى قوله تعالى (معكم) ، وقد ذكر سيبويه - هذه الآية - دلـــيلا علـــى معاملـــة العرب - للمثنى - معاملة الجمع [١٥٠]، وقال القرطبى : " أجراهما مجرى الجمع ، لأن الاثنين - جماعة ، ويجوز أن يكـــون الضمير لهما ، ولمن أرسلا إليه، ويجوز أن يكون لجميع بنى إسرائيل" [١٥١] .

١٤٥- الكشاف : ٢/ ٦٢٣.

١٤٦-- تفسير النسفى : ٢/ ٢٩٤.

١٤٧-الحج : ١٩.

١٤٨-معانى القرآن وإعرابه : ٣/ ٤١٩.

١٤٩-الشعراء : ١٥.

١٥٠-الكتاب : ٣/ ٦٢٢.

١٥١-تفسير القرطبى : ٧/ ٤٩٧١.

٥-قوله تعالى:﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾[١٥٢] فإن ضمير الجمع فى (يستوون) – يعود على (مؤمنا) ، و(فاسقا) ، وهما بلفظ الاثنين ، قال الزجاج : "ولو قال : (لا يستويان) – لكان جائزا ، ولكـــن (مَــن) – لفظها لفظ الواحد ، وهى تدل على الواحد ، وعلى الجماعـــة ، فجـــاء (لايســتوون) –على معنى:(لا يستوى المؤمنون والكافـــرون)، ويجوز أن يكون (لا يستوون) – للاثنين ، لأن معنى الاثنين – جماعة " [١٥٣].

٦-قولــــه تعـــالى:﴿ وإن طـــائفـــتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بيـــنهما﴾[١٥٤]،فقد عاد ضمير الجمع فى (اقتتلوا) – إلى المثنى – وهو (طائفـــتان) ، قال الزمخشرى : " فإن قلت : ما وجه قوله (اقتتلوا) ، والقياس (اقتتلتا) ، كما قرأ ابن أبى عبلة ، أو (اقتتلا) ، كما قرأ عبيد بـــن عمير ، على تأويل (الرهطين) ، أو (النفرين) ؟ قلت : هو مما حمـــل علـــى المعـــنى دون اللفظ ، لأن الطائفتين فى معنى القوم ، والناس". [١٥٥]

وقد نرى الضمير المخاطب به مفرد مذكر – يعود على لفظ مؤنث، ولكـــن قـــد يراد به المذكر ، كما فى قوله تعالى : ﴿ بلى قد جاءتك

١٥٢- السجدة :١٨.

١٥٣-معانى القرآن وإعرابه : ٤/ ٢٠٨.

١٥٤-الحجرات : ٩ .

١٥٥-الكشاف : ٤/ ٣٦٤، وراجع أمالى ابن الشجرى : ٢/ ٤٨.

آيـــاتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ [156]، فالمخاطب بهـــذه الآية – مفرد مذكر ، على حين كان الحديث عن النفس – فى الآيـــات السابقة – وذلك فى قوله تعالى : ﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الساخرين " [157]، قال أبو الــبركات بـــن الأنـــبارى : " و (النفس)– مؤنثة ، وأما قوله – فى الجــواب : (بلى قد جاءتك آياتى) – بالتذكير – فحمله على المعنى ، لأن النفس فى المعنى – إنسان "[158]

وقـــد يعـــود ضمير جمع الإناث – على جمع التكسير – الذي واحده مذكـــر ، وذلـــك إذا أريد به النساء ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وفرش مـــرفوعة – إنـــا أنشـــأناهن إنشاء﴾[159] ، قال العكبرى : " الضمير للفرش، لأن المراد بها – النساء " [160]، قال النسفى : " لأن المرأة – يكـــنى عنها بالفراش ، مرفوعة على الأرائك، ويدل عليه قوله : "إنا أنشأناهن إنشاء "[161].

كـــان ذلـــك بعض النماذج القرآنية –التى يعود فيها الضمير –على مـــرجعه،حملا علـــى المعنى،وعليه –فإن مخالفة الضمير لمرجعه –

١٥٦- الزمر : ٥٩.

١٥٧- الزمر : ٥٦.

١٥٨-البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث : ٦٧.

١٥٩-الواقعة : ٣٤، ٣٥.

١٦٠-إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٢٥٤.

١٦١-تفسير النسفى :٣١٦/٤

كانـــت مـــن حيث اللفظ،أما من حيث المعنى–فإن المطابقة ما زالت متحققة.

عود الضمير على المتعاطفين

المتتـــبع لآى القـــرآن الكريم –يجد كثيرا من المتعاطفين –بالواو،أو بـــــ(أو)–يعـــود الضمير عليهما–مفردا،لا مثنى ،وتارة نجده مذكرا، وتـــارة نجده مؤنثا فإذا كان المتعاطفان –مذكرين –فإننا نجد الضمير يعود إليهما مفردا مذكرا،وإذا كان أحد المتعاطفين –مذكرا،والآخر – مؤنثا–فإننا نجد الضمير يعود إليهما–تارة مؤنثا ، وتارة مذكرا،وهذا الاختلاف –لابد له من حكمة نحوية يقتضيها المعنى،وفيما يلى نذكر بعـــض الآيـــات –الـــتى يعود فيها الضمير على المتعاطفين ،مخالفا للفظهمـــا ،وســـوف نرتـــب هذه الآيات –حسب وردها فى السور ، ذاكرين أقوال النحاة والمفسرين فى سر هذه المخالفة :

١–قولـــــه تعالى :"واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين"[١٦٢] ،فقد اختلفوا فى مرجع الضمير المؤنث –فى (وإنها)، فقـــد ذهـــب الزجاج –إلى أن الضمير –للصلاة –والمعنى أن الصلاة الـــتى معهـــا الإيمـــان بالنبى –صلى الله وعليه وسلم – كبيرة على الكفـــار، وعظـــيمة عليهم مع الإيمان بالنبى –صلى الله وعليه وسلم[١٦٣]، وذكـــر الزمخشرى– ثلاثة أوجه :وهى –أن الضمير للصلاة،أو

١٦٢– البقرة :٤٥

١٦٣–– معانى القرآن وإعرابه :١/١٢٥

للاستعانة ،ويجوز أن يكون لجميع الأمور التى أمر بها بنو إسرائيل ، ونهوا عنها ،من قوله :" اذكروا نعمتى "[١٦٤]إلى قوله: (واستعينوا)[١٦٥].

وبعد أن ذكر العكبرى –جواز عود الضمير على الصلاة ،أو على الاستعانة –نقل رأيا آخر –وهو عوده على القبلة لدلالة الصلاة عليها، غير أنه ذكر هذا الرأى بعد صيغة التضعيف –وهى :(قيل)[١٦٦].

أما القرطبى –فقد ذكر ثمانية أوجه –فى مرجع الضمير :

الأول – الصلاة وحدها خاصة ،لأنها تكبر على النفوس ما لا يكبر الصوم ،و(الصبر)هنا –الصوم.

الثانى –أن الضمير يعود عليهما ،ولكنه كنى عن الأغلب ،وهو الصلاة .

الثالث-أن الصبر داخل فى الصلاة ،فأعاد الضمير عليها،كما فى قوله تعالى :" وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ"[١٦٧]،ولم يقل : (يرضوهما)،لأن رضا الرسول –صلى الله وعليه وسلم –داخل فى رضا الله –تعالى .

الرابع – أنه رد الكناية إلى كل واحد منهما ،ولكن حذف من الأول اختصارا،كما فى قوله تعالى :"وجعلنا ابن مريم وأمة آية "[١٦٨]،ولم يقل :(آيتين).

١٦٤-البقرة-

١٦٥-الكشاف : ١/ ١٣٤

١٦٦-إملاء ما من به الرحمن : ١/ ٣٤

١٦٧-التوبة :٦٢.

١٦٨- المؤمنون /٥٠.

الخامس –أن الضمير –عائد على العبادة –التى يتضمنها بالمعنى– ذكر الصبر والصلاة .

السادس – أن الضمير يعود على المصدر ،وهو (الاستعانة)–التى يقتضيها الفعل:(واستعينوا).

السابع –أن الضمير –عائد على إجابة سيدنا محمد –صلى الله وعليه وسلم .

الثامن –أنه عائد على الكعبة ،لأن الأمر بالصلاة –إنما هو إليها.[١٦٩]

وعلى القول بأن الضمير –يعود على (الاستعانة)– فإن ذلك داخل تحت عود الضمير على أحد مدلولى الفعل –وهو المصدر ،وقد سبق الحديث عن ذلك ،وهو شائع فى اللغة .

أما على القول بأن الضمير –يعود على العبادة أو على الإجابة ،أو على الكعبة ،أو على القبلة،أو على جميع ما أمر به بنو إسرائيل، ونهوا عنه –فإن ذلك كله –داخل فى عود الضمير على ما يفهم من السياق والمعنى ،وقد سبق الحديث عن ذلك أيضا.

ونخلص من ذلك –إلى أن النص الكريم –يقبل هذه الاحتمالات كلها، وكلها يثرى المعنى،إذ لا يتعارض شىء منها مع الآخر .

٢–قوله تعالى :" فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه "[١٧٠]،فإن الضمير المستتر –فى الفعل :(يتسنه)–عائد على الطعام والشراب،ولو

١٦٩– تفسير القرطبى :١/ ٤١٣ ، ٤١٤ وراجع البرهان فى علوم القرآن : ١٢٨/٣، الدر المصون للسمين الحلبى ٣٣٠/١.

١٧٠– البقرة : ٢٥٩

روعيـــت المطابقـــة اللفظـــية–لقيل :(لم يتسنيا)،أو(لم يتسنها) –على خـــلاف بينهم فى أصل الهاء،وما يعنينا هنا –هو مرجع الضمير ،وقد ذكر العكبرى عدة احتمالات فى مرجع الضمير:

الأول – يحتمل أن يكون ضمير الطعام والشراب ،لاحتياج كل واحد منهما إلى الآخر بمنزلة شيء واحد ،فذلك أفرد الضمير فى الفعل .

الـــثانى – ويحـــتمل أن يكون جعل الضمير لـــ (ذلك)،لأن (ذلك) – يكنى به عن الواحد ،والاثنين،والجمع بلفظ واحد.

الثالث– ويحتمل أن يكون الضمير – لـــ(الشراب)،لأنه أقرب إليه.

الرابع– ويجوز أن يكون أفرد فى موضع التثنية.[١٧١]

ولـــنا ملاحظـــة علـــى الاحـــتمال الثالث –وهو عود الضمير على (الشـــراب)،وحده ،وهى أن ذلك يسوغ رفع (الشراب)على الابتداء ، وجعل جملة :(لم يتسنه)– خبرا عنه،على أن تكون جملة:(وشرابك لم يتسنه)– فى موضع الحال، ولذلك يضعف هذا الاحتمال لما يؤدى إليه مـــن تفكـــك الجملـــة ،وخروجها عن باب العطف ،ولو كان الضمير منصوبا– لأمكن أن يعود على أقرب المذكورين ،ولكان هذا الاحتمال مقـــبولا ،ولكـــن الضمير هنا –هو الفاعل المستتر فى الفعل فلو عاد على أقرب المذكورين – لجذبه إليه،ليكون مرفوعا بالابتداء.

٣– قولـــــه تعالى:" وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخـــت " [١٧٢]،فقـــد أفـــرد الضمير فى (له)،وهو عائد على (رجل)،

١٧١– إملاء ما به الرحمن : ١/ ١٠٩ ، ١١٠

١٧٢– النساء :١٢

و(امــرأة) –المتعاطفيــن بـــــ(أو)،قال الفراء :"لم يقل: (لهما)،وهذا جائــز،إذا جــاء حــرفان فــى معنى واحد –يريد :فى حكم واحد – بـــــ(أو)– أســندت التفسير إلى أيهما شئت ،وإن شئت ذكرتهما فيه جمــيعا،تقول فى الكلام :(من كان له أخ أو أخت– فليصله)، تذهب إلــى الأخ،و(فليصلها) تذهب إلى الأخت وإن قلت–فذلك جائز ،وفى قراءتــنا :" إن يكــن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما "[١٧٣] ،وفى إحدى القراءتيــن:" فــالله أولــى بهم"– ذهب إلى الجمع،لأنهما –اثنان غير موقتين "[١٧٤]

وقــد أنكر ابن عصفور –أن يثنى الضمير –للمتعاطفين بـــ(أو)،وعد تثنــية الضمير فى (فالله أولى بهما) – من قبيل الشاذ الذى لا يقاس عليه ،حيث القياس عنده –أن يقال (فالله أولى به)،وقد عقب المحققان: أحمد عبد الستار الجوادى ،وعبد الله الجبورى –بقولهما:" وهذا أيضا مــن ســقطاتهم ،فكــيف لا يقاس على العبارة القرآنية ،وهى أساس قواعــد الــنحو واللغة "[١٧٥] ،وقد حاول الزمخشرى أن يلتمس وجها متكلفا يسوغ معه تثنية الضمير العائد على المتعاطفين بـــ(أو)،فقال : " فـــإن قلت :لم ثنى الضمير فى (أولى بهما)،وكان حقه –أن يوحد ، لأن قولــه (إن يكن غنيا أو فقيرا)–فى معنى :أحد هذين؟ قلت: قد

١٧٣– النساء: ١٣٥

١٧٤ – معانى القرآن : ١/ ٢٥٧، ٢٥٨

١٧٥–– المقرب مع الهامش : ١/ ٢٣٥، ٢٣٦

رجـــع الضمير إلى ما دل عليه قوله (إن يكن غنيا أو فقيرا)–لا إلى المذكـــور ،فلذلك ثنى ولم يفرد،وهو جنس الغنى،وجنس الفقير،كأنه قـــيل (فالله أولى بجنس الغنى،والفقير)–أى: بالأغنياء والفقراء ،وفى قـــراءة أبى:" فالله أولى بهم "،وهى شاهده على ذلك"[176] ،وربما كان الزمخشـــرى -أخف تحاملا على هذه الظاهرة – من ابن عصفور – وإن كـــان تأويله هذا –متكلفا ،وعلى أى حال– فإن محاولة التأويل ، لرد الظاهرة إلى القياس –خير من الحكم عليها بالشذوذ ،ولو اتبع ابن عصـــفور –الزمخشرى ،فى هذا التأويل –لكان خيرا له من أن يحكم على قراءة سبعية متواترة،أجمع السبعة عليها– بالشذوذ ،والحق –ما ذهب إليه الفراء – من جواز الإفراد ،والتثنية ،والجمع،ويبين الأستاذ عـــباس حسن –أن الغالب –وقيل: الواجب –فى الضمير بعد (أو)التى للشـــك أو للإبهـــام –أن يكون مفردا ،مثل (شاهدت المريخ أو القمر يـــتحرك)،أمـــا بعـــد (أو) التنويعـــية –التى لبيان الأنواع والأقسام – فالمطابقة،كقوله تعالى :" إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما "[177] .

٤– قولـــــه تعالى :" ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به برئيا فقد احـــتمل بهتانا وإثما مبينا"[178] والكلام عن هذه الآية كالكلام عن الآية السابقة ،حيث أفرد الضمير وذكره فى (به)،مع أنه يعود على شيئين

---

١٧٦ – الكشاف : ١٣٦/١

١٧٧– النحو الوافى :٢٦٩/١

١٧٨– النساء :١١٢

متعاطفيـــن بـــ(أو)،أولهما مؤنث ،والثانى مذكر،وقد أجاز الفراء–فى مـــثل هـــذا –أن يفـــرد الضـــمير مذكرا،أو مؤنثا ،وأن يثنى ؟،وأن يجمع،فقال:" وذلك جائز أن يكنى عن الفعلين –يريد الخطيئة، والإثم، لأن الكوفييـــن يطلقـــون على الصفات والمصادر أفعالا – وأحدهما مؤنـــث –بالتذكير والتوحيد،ولو كثر –لجاز الكناية عنه بالتوحيد ،لأن الأفاعيل –يقع عليها فعل واحد،فلذلك جاز .

فـــإن شئت ضممت الخطيئة والإثم،فجعلته كالواحد،وإن شئت –جعلت الهـــاء للإثـــم خاصـــة ،كما قال تعالى :" وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضـــوا إلـــيها "[179]،فجعله للتجارة ،وفى قراءة عبد الله :" وإذا رأوا لهـــوا أو تجـــارة انفضـــوا إلـــيها " ،فجعلـــه للـــتجارة فى تقديمها وتأخـــيرها،ولو أتـــى بالتذكير،فجعلا كالفعل الواحد–لجاز ،ولو ذكر علـــى نية اللهو– لجاز" ،ثم استشهد الفراء –على جواز تثنية الضمير فـــى مثل هذا– بقوله تعالى :" إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما " ويســـتنتج مـــن ذلـــك –جواز تثنية الضمير فى :(ثم يرم به) ،وفى : (انفضـــوا. إلـــيها) ،وفـــى هـــذا يقـــول :" فلـــو أتى فى الخطيئة ، واللهو،والإثـــم، والـــتجارة مثنى –لجاز" ،واستشهد على جواز جمع الضمير– بعد المتعاطفين بـــ(أو)–بقراءة أُبَىّ :" إن يكن غنى أو فقير فـــالله أولـــى :بهم "[180] وما نفهمه من كلام الفراء –أن الضمير العائد

---

[179] – الجمعة : ١١

[180] – معانى القرآن : ١/ ٢٨٦، ٢٨٧

علـــى المتعاطفين بـــ(أو)-يجوز إفراده، وتثنيته ،وجمعه ،كما يجوز تذكيره،وتأنيـــثه - إن كان أحد المتعاطفين -مؤنثا،تقدم أو تأخر ،فإذا أفـــرد الضمير -كان المتعاطفان -كالشىء الواحد،وإذا ثنيا -فعلى لفظ المتعاطفين ،وإذا جمع -فعلى إرادة الجمع.
كذلـــك أجـــاز القرطبى -أن يعود الضمير فى (به)-على (الإثم) وأن يعـــود علـــى الخطيـــئة والإثم معا ،كما أجاز أن يعود على المصدر المفهوم من الفعل (يكسب) -وهو :الكسب [181].
٥- قولـــــه تعالى :" وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما "[182]،فقد أفرد الضمير هنا مؤنثا -فى :(إليها)،وهو راجع إلى المتعاطفيـــن بـــ(أو)،والمتقدم منهما-مؤنث ،وقد أعاد الفراء هنا -ما ذكـــره ،فى آيات النساء- من جواز إفراد الضمير مذكرا أو مؤنثا، وتثنيته،وجمعه ،إلا أنه أضاف هنا -أن الأجود فى العربية -أن يعود الضـــمير -إلى الأخير من المتعاطفين ،مع جواز الوجوه الأخرى،ثم علـــل عـــود الضـــمير المؤنث -هنا إلى التجارة -وهى الأبعد -بان التجارة كانت أهم إليهم ،وهم بها أسر منهم بضرب الطبل"[183].
وذهب الزجاج ،والزمخشرى -إلى أن الضمير فى(إليها)- راجع إلى (تجارة)،وقد حذف ما يعود على (لهوا)،لدلالة المذكور عليه،والتقدير

---

[181] - تفسير للقرطبى :٢/ ٢٠٤٢

[182] - الجمعة :١١

[183] - معانى القرآن : ٣/ ١٥٧ ، وراجع إملاء ما من به الرحمن للعكبرى : ٢/ ٢٦٢ ،والبرهان فى علوم القرآن للزركشى :١٢٦/٣، ١٢٨

- عـــندهما (وإذا رأوا تجـــارة انفضوا إليها ،وإذا رأوا لهوا انفضوا إليه)،ويجوز (إليه)،كما يجوز (إليهما)،وقد قرئ بذلك.[١٨٤] .

٦- قولـــه تعالى :" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عـــنه وأنتم تسمعون"[١٨٥] ، فقد أفرد الضمير فى(عنه)،مع أنه مسبوق بمتعاطفيـــن -بـــالواو ،وقـــد قدمنا آية الجمعة -على هذه الآية ، لأن العطف فيها -بـــ(أو)، فضممناها -إلى آيات النساء ،لأن الكلام عنها -واحد كما أن النحاة يفرقون بين حكم الضمير العائد على المتعاطفين بـــ(أو)،والضمير العائد على المتعاطفين -بالواو ،فقد ذكرنا سابقا أن بعضـــهم -يوجـــب إفـــراد الضمير بعد المتعاطفين -بـــ(أو)،ويوجب تطابق الضمير العائد على المتعاطفين -بالواو ،وفى هذه الآية -وفى آيـــات أخرى،سنذكرها- إن شاء الله تعالى -جاء الضمير العائد على المتعاطفيـــن بـــالواو -مفـــردا ،والضمير فى (عنه)-يعود -كما يقول الزمخشرى -إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ،لأن المعنى -(أطيعوا رسول الله)،ولأن طاعة الرسول صلى الله وعليه وسلم -وطاعة الله - شىء واحد ،بدليل قوله تعالى:" مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ "[١٨٦]، فكان رجوع الضمير إلى إحدهما -كرجوعه إليهما ،كقولك(الإحسان والإجمـــال -لا ينفع فى فلان)، وأجاز الزمخشرى - وجها آخر،وهو

---

[١٨٤] - معانى القرآن وإعرابه : ٥/ ١٧٢ ،والكشاف : ٤/ ٥٣٧

[١٨٥] - الأنفال : ٢٠

[١٨٦] - النساء : ٨٠.

أن يرجع إلى الأمر بالطاعة،أى (ولا تتولوا عن هذا الأمر)[187]ومثل هــذا فى توحيد الضمير بعد المتعاطفين -بالواو -قوله تعالى:" يا أيها الذيــن آمــنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم "[188] ،فقد وحد الضمير المستتر فى (دعاكم)،حيث لم يقل(دعواكم) كما وحده - فــى الآيــة السابقة ،لأن استجابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كالستجابته -تعالى،وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد .[189].

٧- قولــــه تعالى :" والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم "[190]،فقد اختلف النحاة والمفسرون حول مــرجع الضــمير -فى (ينفقونها)،إذ هو مسبوق بشيئين متعاطفين - بــالواو ،ومع ذلك لم يقل :(ينفقونهما)،فقال الفراء:" فإن شئت وجهت الذهــب والفضـــة إلى الكنوز ،فكان توحيدهما من ذلك ، وإن شئت اكتفيــت بذكر أحدهما من صاحبه ،كما قال تعالى:" وإذا رأوا تجارة أو لهــوا انفضــوا إلــيها" [191]،فجعله للتجارة ،وقوله تعالى : " ومن يكســب خطيئة أو إثما ثم يرم به برئيا "[192]،فجعله والله أعلم -للإثم ، وقال الشاعر فى مثل ذلك :

---

[187] - الكشاف : ٢/٢٠٩

[188] - الأنفال : ٢٤

[189] - الكشاف :٢/٢١٠ ،وراجع البرهان فى علوم القرآن للزركشى : ٣/ ١٢٧ ، ١٢٨

[190] - التوبة :٣٤

[191] - الجمعة :١١

[192] -النساء :١١٢

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ولم يقل :(راضون)،وذلك لاتفاق المعنى -يكتفى بذكر الواحد"[193].

وقـال الزمخشرى:" ذهابا بالضمير إلى المعنى دون اللفظ ،لأن كل واحـد مـنهما -جملـة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم،فهو كقوله تعـالى :" وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا "[194]،وقيل :ذهب به إلى الكنوز ،وقيل :إلى الأموال ،وقيل :معناه (ولا ينفقونها والذهب)"[195].

وقال أبو حيان :" والضمير فى (ولا ينفقونها)- عائد على الذهب ، لأن تأنيثه -أشـهر ،أو علـى الفضة ،وحذف المعطوف فى هذين القوليـن -أى :أن كان عائدا على الذهب -كان التقدير (ولا ينفقونها والفضة)، وإن كان عائدا على الفضة - كان التقدير :" (ولا ينفقونها والذهـب)- أو علـيهما باعتبار أن تحتهما أنواعا ،فروعى المعنى، كقولـه تعالى :وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا "،أو لأنهما محتويات علـى جمع دنانير ودارهم ،أو على المكنوزات ،لدلالة (يكنزون)،أو علـى الأمـوال ،أو علـى الـنفقة ، وهى المصدر الدال عليه(ولا يـنفقونها)، أو على الزكاة ،أى (ولا ينفقون زكاة الأموال)" ،ويرد أبو حـيان - قـول كثير من المفسرين -بأن الضمير عائد على أحدهما اكـتفاء به عن الآخر، كما فى قوله تعالى :" وإذا رأو تجارة أو لهوا

---

[193] - معانى القرآن : ١/ ٤٣٤

[194] - الحجرات :٩.

[195] - الكشاف : ٢/ ٢٦٨

انفضوا إليها" ، فيقول: " وليس مثله ،لأن هذا عطف بــ(أو)،فحكمها أن الضــمير يعود على أحد المتعاطفين ،بخلاف الواو -إلا إن ادعى أن الــواو فــى (والفضــة)-بمعــنى (أو) ·فيمكــن ،وهــو خلاف الظاهر"[196].

وقــال الزركشــى :" أعــاد الضمير على الفضة وحدها،لأنها أقرب المذكوريــن ،لأن الفضة أكثر وجودا فى أيدى الناس ،والحاجة إليها أمــس ،فــيكون كــنزها أكــثر"[197]، ولا مانع من قبول الآية ،لهذه الاحتمالات كلها ،لأن الذهب والفضة -هما مصدر الدنانير والدراهم- التى يطلق عليها الكنوز والأموال ،غير أن ما ذكره الزركشى من أن الضــمير -يعود على الفضة ،لأنها أكثر وجودا فى أيدى الناس ،لأن حاجــة الــناس إلــيها أمس - فهذا رأى بعيد لأن الذهب - أغلى من الفضــة ،والــناس عليه أحرص ،وكنزه أولى ،ولو قال لأنها أقرب المذكورين ،مع تقدير معطوف محذوف ،أى (ولا ينفقونها والذهب)- كما ذكر الزمخشرى وأبو حيان -لكان أولى بالقبول .

٨- قولــــه تعــالى :" يحلفون لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين "[198]،وهذه أيضا من الآيات -التى كثر فيها الخلاف حول مرجع الضمير فى (يرضوه)،حيث لم يقل:(يرضوهما)

---

[196] - البحر المحيط : ٥/ ٣٦

[197] - البرهان فى علوم القرآن ١٢٦/٣، ١٢٧

[198] - التوبة : ٦٢

- بإعــادة الضــمير إلى الله ورسوله ،وقد ذهب الفراء إلى الضمير يعود على (رسوله)،وقد ذكر الله -عز وجل -تعظيما ،لأن المعنى - والله أعلــم بمـــنزلة قولـــك :(ما شاء الله وشئت)فإنك قبل أن تنسب المشيئة إليك تنسبها إلى الله -عز وجل -تعظيما ،ويؤيد هذا المعنى - قوــله تعالى:" وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه "[١٩٩]،وكما يقــول الســيد لعبده :(أعتقك الله وأعتقتك)،وأجاز وجها آخر،وهو أن الضــمير يعود عليهما ، فالمقصود -(يرضوهما) ،فاكتفى بواحد ،كما فى قول الشاعر :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأى مختلف

ولم يقل :(راضون) [٢٠٠] ،يريد أن الشاعر اكتفى بذكر خبر :(أنت) - وهــو (راض)، وحذف خبر (نحن)-وهو (راضون) ،لدلالة المذكور عليه ،وعليه- يكون التقدير فى الآية :(والله أحق أن يرضوه،ورسوله أحق أن يرضوه)،وإلى هذا الرأى - ذهب الزمخشرى أيضا -إلا أنه ذكر قبله وجها آخر ،وهو أن توحيد الضمير -يدل على عدم التفاوت بين رضا الله -تعالى ،ورضا رسوله صلى الله وعليه وسلم ،فكانا فى حكــم مرضـــى واحد [٢٠١]،وإلى هذا الرأى أيضا ذهب أبو حيان،كما ذكــر أيضا أن فى الكلام حذفا ،أى: (والله أحق أن يرضوه،ورسوله

---

[١٩٩] - الأحزاب :٣٧.

[٢٠٠] - معانى القرآن :٤٣٤/١ / ٤٤٥

[٢٠١] - الكشاف ٢/ ٢٨٥ ،وراجع تفسير النسفى :١٣٣/٢

أحــق أن يرضـــوه)-بحذف خبر الأول ،لدلالة خبر الثانى عليه ،ثم أجــاز أبو حيان وجها ثالثا -وهو أن الضمير -يعود على المذكور ، كما فى قول رؤية :

فيها خطوط من سواد وبلق

كأنه فى الجلد توليع البهق [٢٠٢]

فالضمير فى (كأنه) -يعود على المذكور ،ويقول البغدادى:" والرابط -الضـــمير بـــتأويله باســـم الإشارة ،واسم الإشارة -مؤول بالمذكور، ونحوه، وإنما لم يؤول بالمذكور ابتداء ،لأن التأويل -قد كثر فى اسم الإشارة "[٢٠٣] .

ويرى ابن عصفور -أن إفراد الضمير بعد المتعاطفين بالواو - نادر فـــى الكلام ،يقول :" وإذا تقدم معطوف معطوف عليه ،وتأخر عنهما ضـــمير يعـــود عليهما- فإن كان الغطف بالواو -كان الضمير على حســـبهما ،نحو قولك :(زيد وعمرو قاما)،ولا يجوز الإفراد -إلا فى الشعر ،نحو قول الشاعر :

إن شرخ الشباب والشعر الأســـ ود ما لم يعاص كانا جنونا

يـــريد :(يعاصـــيا)،أو فـــى نادر من الكلام،ومنه قوله تعالى:" والله ورســـوله أحـــق أن يرضوه" [٢٠٤]،وما كان لابن عصفور -أن يعد ما

---

[٢٠٢] - البحر المحيط : ٥/ ٦٤

[٢٠٣] - خزانة الأدب : ١/ ٨٩

[٢٠٤] - المقرب : ٢٣٥/١

جاء فى كتاب الله -تعالى -من قبيل النادر ،وقد رأينا إفراد الضمير - تعـالى -بعد المتعاطفين -بالواو -كثيرا فى القرآن الكريم ،وله أوجه سائغة فى العربية ،ولا ينبغى أن نعرض ما جاء فى القرآن الكريم- مـن ظواهـر نحوية -على قواعد موضوعة سلفا،بحيث نرفض ،أو نضعف ،ما خالف هذه القواعد ،بل يجب أن يكون النص القرآنى هو المحتذى ،وهو الأصل الذى -نقيس عليه -كل كلام عربى فصيح .

وقال الزركشى :" فقيل :(أحق)- خبر عنهما، وسهل إفراد الضمير بعـد إفـراد (أحق)،وأن إرضاء الله سبحانه -إرضاء لرسوله-عليه الصـلاة والسـلام، وقيل :(أحق)-خبر عن النبى -صلى الله وعليه وسلم ،وحذف من الأول -لدلالة الثانى عليه ،وقيل: العكس -يريد :أن المذكـور -خـبر عـن الأول - وهـو الله -تعـالى ،وحـذف خبر الثانى،لدلالة الأول عليه -وإنما أفرد الضمير ،لئلا يجمع بين اسم الله -تعـالى ورسوله -ﷺ- فى ضمير واحد ،كما جاء فى الحديث :" قل ومن يعص الله ورسوله"[٢٠٥] .

وعلى القول بحذف أحد الخبرين ،لدلالة المذكور عليه- فإن النحاة - يفضلون حذف خبر الأول،وأن المذكور-خبر الثانى،فإذا قيل :

(زيـد وعمرو قائم)-كان (قائم)-خبرا عن (عمرو)،وكان المحذوف -خـبر (زيد)،وذلك لسلامة هذا التأويل من الفصل ،ولأن فيه إعطاء الخـبر للمجـاور، ولـو كـان (قـائم)-خبر عن الأول -لوقع فى

٢٠٣- البرهان فى علوم القرآن : ٣/ ١٢٧

موضـــعه،إذ لا ضـــرورة تدعو إلى تأخيره،إذ كان الخبر يحذف بلا عوض ،نحو :(زيد قائم وعمرو) –من غير قبح فى ذلك [٢٠٦]،وعليه فيمكـــن القـــول بأن (أحق أن يرضوه) –خبر عن (رسوله)،وأن خبر لفـــظ الجلالـــة –هـــو المحذوف ،والتقدير : (والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه)،وبذلك يكون هذا التركيب جملتين اسميتين متعاطفتيـــن،وأن لكـــل مبـــتدأ فيهما ضميرا يعود عليه،فالضمير فى (يرضـــوه)– عائد على (رسوله)،وفى الخبر المحذوف –ضمير آخر يعـــود علـــى لفظ الجلالة ،ويمكن أن نقيس على هذا كل ما ورد فى القرآن الكريم –مما يشبه ذلك ،فالضمير فى قوله تعالى :" وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فـــضله"[٢٠٧] –يعود على (رسوله)،على أن يكون الجار والمجرور :

(مـــن فضله)– دليلا على محذوف مماثل تضمن ضميرا يعود على لفـــظ الجلالـــة ،أى :(أغـــناهم الله مـــن فضله،وأغناهم رسوله من فضله)،ولا مانع من أن نقول بهذا فيما سبق :من قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه"،وقوله تعالى:" يا أيها الذيـــن آمـــنوا اســـتجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " وقوله تعالى: " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله" ، فالضـــمير –فـــى ذلك كله –يعود على أقرب المذكورين،على تقدير

٢٠٦- مغنى اللبيب لابن هشام :٢/ ٧١٢
٢٠٧- التوبة .

محـــذوف مســـائل متضـــمن لضـــمير آخـــر يعود على المعطوف عليه،والـــتقدير :(أطـــيعوا الله ولا تولوا عنه ، وأطيعوا رسوله ولا تولوا عنه)، (استجيبوا لله إذا دعاكم ، وللرسول إذا دعاكم)، (والذين يكـــنزون الذهـــب ولا يـــنفقونها في سبيل الله ، ويكنزون الفضة ولا يـــنفقونها فـــى سبيل الله)، وقد سبق أن ذكرنا قول أبى حيان بتأنيث الذهب ،والحذف -فى القرآن الكريم لإيجار والاختصار -أمر شائع ، وهـــو من دلائل الإعجاز فيه،وقد عقد الزركشى مبحثا خاصا للحذف فـــى القـــرآن الكريم،فمـــن ذلك -قوله تعالى:" وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالـــنَّهَارِ"[٢٠٨]،أى :(وله ما سكن،وما تحرك)،وقوله تعالى :" سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ"[٢٠٩]،أى (تقيمكم الحر والبرد)، وقوله تعالى :" لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ"[٢١٠]،أى: (ومن أنفـــق بعـــده وقـــاتل)،إلـــى غـــير ذلك من وجوه الحذف فى القرآن الكريم.[٢١١]

مراعاة المضاف المحذوف

قـــد نجد -فى القرآن الكريم اختلافا بين الضمير ومرجعه -من حيث التذكير والتأنيث ،وغيرهما وذلك فى الموضع الذي يجب فيه التطابق -بيـــن الضـــمير ومرجعه،ولكـــن لم يلبث المتأمل -أن يدرك أن هذا

٢٠٨- الأنعام :١٣.
٢٠٩- النحل :٨١.
٢١٠- الحديد ١٠.
٢١١- راجع البرهان فى علوم لقرآن :(للحذف) ٣/ ١٠٢ وما بعدها

الاختلاف أمر ظاهرى،وأن التطابق بين الضمير ومرجعه-موجود ، والسر فى هذا أن الضمير يعود فى الحقيقة على مضاف محذوف،أقيم المضاف إليه مقامه،وقد روعى هذا المضاف المحذوف ،فعاد الضمير عليه،وإن كان عود الضمير على المضاف المحذوف -ينكره بعض النحاة فإن ذلك محمول على المضاف المحذوف بلا دليل ،فإذا قيل : (زيد قاموا)،وهم يريدون (غلمان زيد قاموا)-فإن ذلك لا يجوز، إذ لا دليل على المضاف المحذوف [٢١٢]،ولكن ما سنذكره من الآيات التى عاد فيها الضمير على المضاف المحذوف -فإن المضاف المحذوف -مدلول عليه بقرينة السياق ،ومما قيل فيه بعود الضمير على المضاف المحذوف الآيات الآتية :

١- قوله تعالى :" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا" [٢١٣]، فإن ظاهر الآية -يقتضى اشتمال جملة الخبر- وهى (يتربصن)-على ضمير يخالف المبتدأ -وهو (الذين)،لأن نون النسوة تربط الجملة المخبر بها عن جماعة الإناث، لا عن جماعة الذكور،ومن ثم تعددت أقوال النحاة والمفسرين حول مرجع الضمير،فقد ذهب سيبويه -إلى أن (الذين)-مبتدأ حذف خبره،تقديره:(وفيما يتلى عليكم حكم الذين)،ومثله -قوله تعالى :" والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما [٢١٤]" ،وقوله تعالى:" والزانية

٢١٢- راجع إملاء ما من به الرحمن : ٢/ ٣٢

٢١٣-المائدة ٣٨.

٢١٤- البقرة: ٢٣٤.

والـــزانى فـــاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة"[215] ، فالتقدير :(وفيما يتلى عليكم حكم السارق)،(وفيما يتلى عليكم حكم الزانية،أما جملة : (يتربصن)فهم بيان لحكم المتلـــو ،كـــما أن الجملتين:
(فـــاقطعوا أيديهما) ،(فاجلدوا)-بيان لحكم المتلو[216]، وذهب الفراء إلـــى أن جملة (يتربصن)-مخبر بها عن الذين -إلا أن الضمير جاء مطابقـــا لقوله :(أزواجا)،وهن متعلقات بصلة (الذين)،فترك الإخبار عـــن الأول ،وأخـــبر عما هو مقصود فى المعنى ،وها هو نص كلام الفـــراء: "يقال كيف صار الخبر عن النساء ،ولا خبر للأزواج،وكان ينـــبغى أن يكون الخبر عن (الذين)؟ فذلك جائز- إذا ذكرت أسماء،ثم ذكـــرت أســـماء مضـــافة إليها فيها معنى الخبر -أن تترك الأول - ويكـــون الخـــبر عن المضاف إليه ،فهذا من ذلك ،لأن المعنى -والله أعلـــم -إنمـــا أريـــد به :(ومن مات عنها زوجها - تربصت)،فترك الأول بـــلا خبر،وقصد الثانى،لأن فيه الخبر والمعنى "[217] ،وفى كلام الفـــاء غمـــوض وليس كلامه منطبقا على المثال -الذي ذكره ،إذ لا اخـــتلاف بين الرابط فى جملة الخبر(تربصت)،والمبتدأ :(من)،لأن (مـــن)هنا -بمعنى (التى)،أى :(التى مات عنها زوجها ،فالضمير فى (تربصـــت)-ليس عائدا على المضاف إليه فى (زوجها)-كما زعم ، وإنمـــا هـــو عـــائد علـــى مـــا عاد عليه الضمير فى (زوجها)،وهو

٢١٥- النور :٢

٢١٦- الكتاب : ١/ ١٤٣ ،وإملاء ما من به الرحمن للعكبرى : ١/ ٩٨

٢١٧- معانى القرآن : ١/ ١٥٠

(مــن)،وليس فى الآية الكريمة –مضاف إليه تعود عليه نون النسوة ، بــل مؤدى كلامه أن تعود نون النسوة على المفعول به :(أزواجا)– للفعــل المعطوف على الصلة، فلعله يريد –أن الله تعالى – اخبر عن (الذيــن)،ولكــنه أعاد الضمير على من يتصل بهم ،وهن الأزواج ، لأنهــن المتحدث عنمن بالعدة،وقريب من هذا – رأى الزجاج ،حيث يقول: " والذى هو الحق عندى –فى هذه المسألة –أن ذكر (الذين)– قد جرى ابتداء ، وذكر الأزواج قد جرى متصلا بصلة (الذين)،فصار الضــمير الــذي فى (يتربصن)– يعود على الأزواج مضافات إلى ضمير (الذين)،كأنك قلت :(يتربصن أزواجهم)،ومثل هذا من الكلام –قولــك (الــذي يموت ويخلف ابنتين –ترثان الثلثين)،فالمعنى :ترث ابنتاه الثلثين "[٢١٨]،وكلام الزجاج هذا أكثر وضوحا وقربا إلى الفهم من كلام الفراء،كما أن المثال –الذي ذكره الزجاج –واضح فيما أراد من تخــريج الآيــة –وإن كان هذا الرأى – لا يخلو من تكلف وبعد وقد أنكــر ابــن أبــى الربــيع –مــا اخــتاره الزجاج :من أن التقدير: (يتربصــن أزواجهــم)،فقال:" وهذا قول بعيد ،لأن الضمير –لابد أن يعود إلى مذكور ،وهو هنا عائد إلى الأزواج "[٢١٩]،وذهب الزمخشرى إلى أن فى الكلام –مضافا محذوفا ،وهو فى الحقيقة مرجع الضمير ،

٢١٨- معانى القرآن واعرابه : ١/ ٣١٥، ٣١٦

٢١٩- البسيط فى شرح الجمل : ١/ ٥٧٠

والـتقدير :(وأزواج الذين يتوفون منكم)[٢٢٠]،ويدل على المحذوف – قوله تعالى :" ويذرون أزواجا "[٢٢١].

وذكر العكبرى وغيره –وجهين آخرين :

أحدهما –أن (الذين)–مبتدأ ،(يتربصن)– الخبر ،والعائد محذوف، وتقديره:(يتربصن بعدهم)،أو (بعد موتهم)

والآخر –أن (الذين) مبتدأ ،وتقدير الخبر (أزواجهم يتربصن)، فأزواجهم –مبتدأ ،(يتربصن)–الخبر فحذف المبتدأ،لدلالة الكلام عليه[٢٢٢]،وعليه تكون الجملة المكونة من المبتدأ المحذوف،وخبره (يتربصن)– خبرا عن (الذين)،وقد نقل أبو حيان ، وابن هشام –هذه الآراء ،وعزواها إلى أصحابها ،ومن بين هذه الآراء–أن الضمير يعود على مضاف محذوف ،أى (ونساء الذين) ،وقد عزاه أبو حيان إلى ابن الحاج ،وصدر به ابن هشام كلامه،دون أن ينسبه إلى أحد"[٢٢٣]،ونحن نرى –أن هذا الرأى –هو أقرب الآراء –إلى طبيعة اللغة ، لأن حذف المضاف ،وإقامة المضاف إليه مقامه ،وأخذه وظيفته وإعرابه–أمر معروف فى اللغة،وشائع فى الآيات القرآنية ، لأنه نوع من الإيجاز– الذي يتميز به الأسلوب القرآنى ،ومنه قول تعالى: " وأشربوا فى قلوبهم العجل:[٢٢٤]أى (حب العجل)،وقد يحذف

٢٢٠- الكشاف : ٢٨١/١

٢٢١- إملاء ما من به الرحمن للعكبرى : ١/ ٩٨

٢٢٢- المرجع السابق

٢٢٣- ارتشاف الضرب :٢/ ٥١ ، ٥٢ ،والتذييل والتكميل :٤/ ٢٩ ، ٣٠،مغنى اللبيب :٢/ ٥٧٧

٢٢٤- البقرة :٩٣.

مضافان ،كما فى قوله تعالى: " أو كصيب من السماء"[225]،أى :(كمثل ذوى صيب)،وقد ذكر الزركشى نماذج كثيرة من القرآن ،وحذف فيها مضـاف أو أكثر وأقيم المضاف إليه مقامه ، فيعامل معاملته ،وفى ذلـك يقول "اعلم أن المضاف إذا علم -جاء حذفه مع الالتفات إليه ، فيعامل معاملة الملفوظ به ،من عود الضمير عليه"[226].

٢- قولــه تعالى :" وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قـائلون "[227]،فقد أنث الضمير فى (أهلكناها) ،و(فجاءها)،مراعاة للفظ القرية ،ثم أتى فى قوله تعالى :(أوهم قائلون)- بضمير العقلاء،لأنه عـائد على المضاف المحذوف ،وهو (أهل)،والتقدير: (وكم من أهل قـرية)،و(أهلكنا أهلنا)،و(فجاء أهلها)[228]،ولم يقدر الزمخشرى مضافا محذوفـا – إلا فـى (فجاءها)،من أجل عودة الضمير:(هم)عليه ،ولا يـرى حاجـة إلى تقدير مضاف فى (قرية)،(أهلكناها)،لأن القرية – تهلك.[229]

٣- قولــه تعالى:" ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقـا حسنا"[230]،قال الزمخشرى: " فإن قلت : فإلام يرجع الضمير فـى (مـنه)- إذا جعلـته ظـرفا مكررا؟ يريد :توكيدا لفظيا للجار والمجـرور :(ومن ثمرات النخيل)-قلت :إلى المضاف المحذوف-

---

٢٢٥- البقرة : ١٩.
٢٢٦- البرهان فى علوم القرآن : ٣/ ١٥٠ مع مرلجعة ص : ١٤٦ وما بعدها
٢٢٧-الأعراف : ٤
٢٢٨- البرهان فى علوم القرآن للزركشى : ٣/ ١٥١
٢٢٩- الكشاف :٢/ ٨٧ ،وراجع مغنى اللبيب :٢/٧١٥
٢٣٠- النحل : ٦٧

عن جماعة ،وفى هذا كله-مراعاة لمن يصاحب المرجع ،لادخاله فى عموم المعنى ،وسوف نسوق -توضيحا لذلك -الآيات الآتية :

١- قولـــه تعالى: وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بـــيوتا واجعلـــوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين "[٢٣٣]،فإن الخطـــاب لموســـى وهـــارون -علـــيهما الســـلام -فى :(تبوأ ا)،و (ولقومكمـــا)،ثـــم انتقل الخطاب إلى جماعة -فى (اجعلوا)، (بيوتكم)، (أقـــيموا)،ثـــم انتقل الخطاب إلى مفرد -فى (بشر)،قال الزمخشرى:" فـــإن قلـــت :كيف نوع الخطاب ،فثنى أولا، ثم جمع ،ثم وحد آخرا ؟ قلت :خوطب موسى وهارون-عليهما السلام- أن يتبوأ لقومهما بيوتا، ويخـــتاراها للعبادة،ذلك مما يفوض إلى الأنبياء،ثم سيق الخطاب عاما لهما،ولقومهمـــا -باتخـــاذ المساجد ، والصلاة فيها ،لأن ذلك -واجب علـــى الجمهـــور ،ثـــم خص موسى عليه السلام -بالبشارة التى هى الغـــرض ،تعظـــيما لها ،وللمبشر بها"[٢٣٤]،وقال العكبرى:" إنما جمع فيهما -يريد:(واجعلوا)،(وأقيموا)

- لأنـــه أراد موسى وهارون -صلوات الله عليهما -وقومهما وأفرد فى قوله :(وبشر)،لأنه أراد موسى -عليه السلام -وحده ،إذ كان هـــو الرســـول ،وهارون وزيرا له ،فموسى- عليه السلام – هو الأصل " [٢٣٥].

٢٣٣- يونس : ٨٧

٢٣٤- الكشاف :٢/ ٣٦٤ .

٢٣٥- إملاء ما من به الرحمن :٢/ ٣٣

الـــذي هو (العصير)،كما رجع فى قوله تعالى :" أوهم قائلون"- إلى (الأهــل)المحــذوف "[231]،ويبيــن العكــبرى –العلة فى إعادة الجار والمجــرور :(مــنه)-بــأن الأصــل :(وتتخذون من ثمرات النخيل والأعــناب)،فلما قدم وأخر-أعاد (منه)-على سبيل التوكيد اللفظى،ثم ذكر عدة آراء حول تذكير الضمير فى (منه) فقال :

" وذكــر الضــمير ،لأنه عاد على (شيء) المحذوف أو على معنى (الــثمرات) وهو (الثمر)،أو على (النخيل)،أى :(من ثمر النخل)،أو علــى الجنس ،أو على البعض ،أو على المذكور"[232]، والأقرب –أنه عــائد علــى مضاف محذوف ،وتقديره-كما قدره الزمخشرى:(ومن عصــير ثمرات النخيل)،لأن هذا التقدير-مناسب للمعنى المراد ،إذ لا تتخذ الثمرات نفسها-سكرا،بل يتخذ عصيرها .

مراعاة المصاحب

إن كــان الضــمير-يــرجع أحــيانا إلى المضاف المحذوف،إلتفاتا، إليه،وتنبــيها علــيه فإنــه قــد يعود على من يفسره ،مع مراعاة من يصــحب هــذا المفسر ،ولا نجد هذا فى ضمير الغائب فقط،بل نجده أيضـــا –فى ضمير المخاطب ،فقد يكون المخاطب –اثنين،ثم يتحول الخطاب إلى جماعة ، وقد يكون المخاطب –واحدا ،ثم ينتقل الخطاب إلـــى جماعــة أيضا ،كما نجد المتحدث عنه –اثنين ،ثم ينتقل الحديث

٢٣١- الكشاف : ٢/ ٦١٧

٢٣٢- إملاء ما من به الرحمن :٢/٨٣

الأول –أن الاثنين –جمع .

الثانى –أن يكون الضمير لهما ،ولمن أرسلا إليه .

والثالث –أن الضمير –لجميع بنى إسرائيل [241]،والرأيان الأخيران– هما الأقرب–إلى طبيعة اللغة ،لأن القول –بأن الاثنين –جمع –يؤدى كما قلنا –إلى إلغاء المثنى ،وضمير ،والقول به – هروب من بيان العلة الحقيقة –لجمع الضمير .

٤– قوله تعالى: " واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا" [242]،فقد كان الخطاب –فى أول الآية –للرسول –ﷺ، ثم تحول الخطاب– فى قوله تعالى :(بما تعملون)– إلى الجمع،وذلك لأنه –تعالى –عنى بقوله :(واتبع)– الرسول –ﷺ ، وأصحابه،أى : (واتبع أنت وأصحابك)[243].

وننبه على أن مراعاة المصاحب فى عود الضمير تعد نوعا من الإيجاز أيضا،لأن عود ضمير الجمع– إلى المثنى ،أو إلى المفرد – يشير إلى مصاحب للمرجع،وهذا المصاحب –محذوف ،لدلالة السياق عليه ،كما أن الضمير نفسه –يشير إليه .

٢٤١ـ تفسير القرطبى : ٧/ ٤٩٧١

٢٤٢ـ الأحزاب :٢

٢٤٣ـ إملاء ما به الرحمن للعكبرى :٢/ ١٩٠

٢- قولـــــه تعالى :" وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فـــيه غـــنم القـــوم وكـــنا لحكمهـــم شاهدين"[٢٣٦]،فقد جاء الضمير فى (لحكمهم) - مجموعا ،والمتحدث عنه فى الآية -اثنان وهما :(داود) و (ســـليمان)-عليهما السلام،وقد ثنى لهما الضمير فى (يحكمان)،وقد بيـــن النحاة ،والمفسرون -علة جمع الضمير- بعد التثنية -بأنه تعالى أرادهما ،والمتحاكمين إليهما "[٢٣٧]،وأضاف العكبرى -وجهين آخرين:

أحدهما -أن الضمير -يعود على الذين اختصموا فى الحرث .

والآخـــر -أنـــه يعـــود علـــى (داود)و(سليمان)خاصة،لأن الاثنين - جمع[٢٣٨]،ولذلك اتخذ القرطبى من رجوع ضمير الجمع على الاثنين - دلـــيلا على أن أقل الجمع-اثنان [٢٣٩]،ولكن هذا القول -ضعيف ، لأنه يؤدى إلى إلغاء المثنى،وضميره - فما نراه مقبولا-أن الضمير يعود علـــى داود وســـليمان -عليهما السلام ،ومن كان مصاحبا لهما-فى القضية -من المتخاصمين .

٣- قوـــله تعـــالى:"قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون" [٢٤٠] فقد خاطـــب الله تعالى -موسى،وهارون -عليهما السلام- بضمير المثنى فـــى (فأذهـــبا)،ثـــم خاطبهما)-بضمير الجمع فى (معكم)،وقد أورد القرطبى -فى علة الانتقال من التثنية إلى الجمع -ثلاثة أوجه:

٢٣٦- الأنبياء : ٧٨
٢٣٧- الكشاف للزمخشرى : ٣/ ١٢٨
٢٣٨- إملاءها من به الرحمن :٢/ ١٣٥
٢٣٩- تفسير القرطبى :٦/ ٤٤٨٦
٢٤٠- الشعراء :١٥

مراعاة النظير

والمقصود بمراعاة النظير –أن الضمير –يكون له مرجع مطابق له نوعا وعددا –إلا أنه –ليس هو المرجع فى الحقيقة ،وإنما المرجع شىء مماثل فى اللفظ والمعنى،بحيث لو جعلنا المذكور فى حد ذاته –هو المرجع – لفسد المعنى ،وفى القرآن الكريم –ما يشهد على ذلك، ونذكر فى هذا الصدد –آيتين :

١– قوله تعالى :" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين " [٢٤٤]،فالضمير فى (جعلناه)–يعود فى الظاهر – على (الإنسان)، وإذا كان المقصود بالإنسان فى الآية هو آدم –عليه السلام ،وقد خلقه الله –سبحانه وتعالى– من طين ،فكيف يجعله الله تعالى –بعد ذلك نطفة ؟ فالضمير إذن لا يعود على (الإنسان)المذكور فى الآية،ولكن يعود على إنسان آخر ،من نسل هذا الإنسان المذكور، قال الزمخشرى: "فإن قلت :ما معنى :جعلنا الإنسان من نطفة ؟قلت : معناه –أنه خلق جوهر الإنسان أولاً طينا،ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة "[٢٤٥]فقد جعل الزمخشرى –الضمير عائدا على الإنسان،لا باعتباره الجوهر المخلوق من الطين،ولكن باعتباره الجوهر المخلوق بعد ذلك، وقال القرطبى :" ويجئ الضمير فى (جعلناه)–عائدا على ابن آدم –وإن كان لم يذكر لشهرة الأمر ،فإن المعنى لا يصلح إلا

٢٤٤- المؤمنون : ١٢/ ١٣.

٢٤٥- الكشاف : ٣/ ١٧٨.

له"[٢٤٦]،وقال النسفى: :أى :نسله،فحذف المضاف ،وأقيم المضاف إليه مقامه ،لأن آدم –عليه السلام–لم يصر نطفة "[٢٤٧].

فهـذه الأقـوال ،وغيرها –لا تخرج عن كون الضمير عائدا على نسل الإنسان،أو ابن الإنسان .

٢- قولـه تعالى :" وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كـتاب "[٢٤٨]،فـإن الضمير فى (عمره)–لا يعود على (معمر)المذكور ولكـن يعود على معمر آخر ،قال الفراء:" وما يطول من عمر؟،ولا يـنقص مـن عمره،يـريد آخر غير الأول،ثم كنى عنه– بالهاء،كأنه الأول،ومـثله فى الكلام:(عندى درهم ونصفه)،يعنى –نصف درهم آخـر فجاز أن يكنى عنه بالهاء،لأن لفظ الثانى–قد يظهر كلفظ الأول فكـنى عـنه ككـناية الأول "[٢٤٩]،فالضمير فى (عمره)–لا يعود على (معمـر)–المصرح به –فى الآية ،إذ لو عاد عليه –لكان –محالا أن يعمر من عمر معمر ،وأن ينقص من عمره –فى آن واحد .

التغليب

والمـراد بالتغليـب – إعطاء الشىء حكم غيره،وقيل : ترجيح أحد المغلوبيـن علـى الآخـر،أو إطلاق لفظه عليهما –إجراء للمختلفين مجـرى المتفقيـن "[٢٥٠]،وإذا روعى التغليب فى الضمير – فإنه يعود

٢٤٦- تفسير القرطبى : ٦/ ٤٦٤٢
٢٤٧- تفسير النسفى :٣/ ١١٥
٢٤٨- فاطر :١١
٢٤٩- معانى القرآن :٢/ ٣٦٨،وراجع الهمع للسيوطى :١/ ٦٥
٢٥٠- البرهان فى علوم القرآن للزركشى :٣/ ٣٠٢

علـــى العـــاقل مـــثلا،على حين يكون مرجعه غير عاقل ،وقد يحدث العكس،ونسوق شاهدا على ذلك –آيتين من القرآن الكريم .

١–قولــــــــه تعــالى :" وعلــم آدم الأسماء كلها قم عرضهم على الملائكــة"[٢٥١]، فــإن الضمير فى (عرضهم)–لجماعة العقلاء ،وهو يعود على (الأسماء)،والجمع لغير العقلاء –يفرد له الضمير مؤنثا، فــيقال :(ثــم عرضـــها)،غير أن الضمير يعود على مسميات هذه الأسماء: من يعقل منها ،ومن لا يعقل ،قال الزجاج:" قال أهل اللغة: علــم آدم أســماء الأجــناس،وعرض أصحاب الأسماء من الناس وغــيرهم –علـــى الملائكـــة ،فلذا قال (ثم عرضهم)،لأن فيهم من يعقل"[٢٥٢]، وقال الزمخشرى:" أى عرض المسميات ،وإنما ذكر،لأن في المسميات العقلاء ،فغلبهم "[٢٥٣]

٢–قولــه تعالى:" والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع"[٢٥٤]، فالضمير في (منهم)–يعود علي (كل دابة)،ولو روعى لفظها –لقيل: (منها)،ولكن جمع الضمير مذكرا،لما فى لفظ الدابة من عموم يدخل تحــته العـــاقل وغـــيره ،والدليل علي تغليب العقلاء –أنه أتى بلفظ (مـــن)–الموضوعة للعاقل،قال المبرد:" تقول في (من):(من يأتنى– آته)،فلا يكون ذلك إلا لما يعقل ،فإن أردت بها غير ذلك –لم يكن،

٢٥١- البقرة : ٣١.
٢٥٢- معاني القرآن وإعرابه :١/ ١١٠ / ١١١
٢٥٣- الكشاف : ١/ ١٢٦، وراجع الدر المصون للحلبى ٢٦٣/١.
٢٥٤- النور : ٤٥

فإن قال قائل :فقد قال الله –عز وجل :" والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه"،فهذا لغير الآدميين ،وكذلك قوله تعالى:" ومنهم من يمشى على أربع –قيل:إنما حاز هذا ،لأنه قد خلط مع الآدميين غيرهم بقوله :" والله خلق كل دابة من ماء "[255]

تنزيل غير العاقل منزلة العاقل

ونعنى بذلك –أننا نجد الضمير فى القرآن الكريم– يعود على غير العقلاء –بلفظ العقلاء ،وذلك تنزيلا لغير العقلاء –منزلة العقلاء . ويوضح أبو بكر بن الأنبارى ذلك –بقوله :" وجمع غير الناس – بمنزلة جمع المؤنث، تقول:(الأكبش أعجبن زيدا)،وتقول :(الرجال ضربتهم)،و(النسوة ضربتهن)،و(الأكبش ذبحتهن)،فإن قال قائل : كيف قال –جل ثناؤه:" قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم"[256] فأدخل الواو فى جمع المؤنث ولم يقل :(ادخلن مساكنكن)؟ قيل له :لما خبر عن النمل بالقول،والقول سبيله –أن يكون للناس –أجراهن مجرى الناس وكذلك قال –عز وجل :" هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون"[257]،ولم يقل (هل يسمعنكم ، أو ينفعنكم ، أويضررنكم) –لما ذكرنا من أنهن –يعنى الأصنام –إذا وصفن بأوصاف الناس –جرين مجرى الناس،وكذلك

٢٥٥- المقتضب :٢/ ٤٩ ، ٥٠ ،وراجع البسيط فى شرح الجمل لابن أبى الربيع :١/ ٢٨٨ ،والبرهان للزركشى : ٣/ ٣٠٥

٢٥٦- النمل : ١٨

٢٥٧- الشعراء :٧٢، ٧٣.

قـــال –جل ثناؤه٠:" وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الـــذي أنطـــق كل شيء"[258]،ولم يقل : (شهدتن)،وقال تعالى:" قالوا أنطقنا الله"،ولم يقل:(قلن)،لما مضى من التفسير،وقال –تعالى :" إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين "[259]،ولم يقـــل :(رأيتهـــن ساجدات)، لأنه لما أخبر عنهن بالسجود – جرين مجرى الناس"[260]،وهذا كثير فى القرآن الكريم ،مما نجده لا يعقل ، ولكـــن يعـــود عليه ضمير من يعقل ،وذلك حينما تنسب إليه صفة العقلاء،أو فعل العقلاء ،وهذا كله ضرب من المجاز .[261]

مراعاة أحد الاحتمالين

والمـــراد بمراعاة أحد الاحتمالين –أن الكلمة التى تفسر الضمير – تحتمل أمرين: التذكير ،والتأنيث ،أو الإفراد،والجمع ،فيعود الضمير على أحد هذين الاحتمالين .

ومممـــا يحـــتمل التذكـــير والتأنيـــث –كلمـــة (ســـبيل)–فإنها تذكر وتؤنـــث،[262]،فقـــد عاد الضمير إليها مؤنثا فى قوله تعالى :" ومن الـــناس مـــن يشـــترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويـــتخذها هـــزوا "[263]،قال الزمخشرى :" والضمير فى (يتخذها)–

٢٥٨- فصلت :٢١

٢٥٩- يوسف :٤

٢٦٠- المذكر المؤنث سيبويه:٢/ ٢١٥/ ٢١٦

٢٦١- راجع كتاب سيبويه :٢/ ٤٧ ،والمقتضب للمبرد :٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥ ،ومعانى القرآن للزجاج :٤/ ١١٢ والكشاف :٣/ ٣٥٦ ،وأمالى ابن الشجرى :١/ ٢٠٣ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧

٢٦٢- البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنبارى :٦٩

٢٦٣- لقمان :٦

للسبيل،لأنها مؤنثة"[264]،وأضاف العكبرى –احتمالين آخرين لمرجع الضمير :وهما –أنه يعود على الحديث ،لأنه بمعنى :الأحاديث ،أو علـــى الآيات[265]،ولكن عود الضمير إلى السبيل – هو الأقرب ،لأن السبيل وردت مؤنثة فى كثير من أى القرآن الكريم ،كما أنها وردت مذكرة فى قوله تعالى :" وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا "[266]

كذلـــك كلمة (الطاغوت)–فإنها تذكر وتؤنث أيضا،وقد عاد الضمير إلـــيها مؤنـــثا –فـــى قولـــه تعالى :" والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها "[267]

وعـــاد الضمير إليها مذكرا –فى قوله تعالى :" يريدون أن يتحاكموا إلـــى الطـــاغوت وقـــد أمروا أن يكفروا به "[268]،كما وردت كلمة الطاغوت –فى القرآن الكريم –بلفظ واحد [269]،ولذلك قد يعود عليها الضـــمير بلفـــظ الجمع،كما فى قوله تعالى :" والذين كفوا أولياؤهم الطـــاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"[270] ،وقال سيبوية :" فأمـــا (الطـــاغوت)فهـــو اسم واحد مؤنث يقع على الجميع كهيئة

٢٦٤- الكشاف :٣/ ٤٩١
٢٦٥- إملاء ما من به الرحمن :٢/ ١٨٧
٢٦٦- الأعراف : ١٤٦
٢٦٧- الزمر :١٧
٢٦٨- النساء :٦٠
٢٦٩- البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنبارى :٧٠،وإملاء ما من به الرحمن للعكبرى : ١/ ١٠٧ ، ١٨٤، ١٨٥ ، ٢/ ٢١٤
٢٧٠- البقرة : ٢٥٧

الواحــد"[٢٧١]،وقـــال النسفى –عند تفسير هذه الآية :" وجمع – يريد الضمير –لأن (الطاغوت)فى معنى الجمع "[٢٧٢]

إرادة التعظيم

ونعـــنى بذلك –أن المفرد – قد يخاطب بضمير الجمع –فى القرآن الكــريم ، وقد يراد بذلك – التعظيم ، ولكن على سبيل الاحتمال ، لاعلـــى ســبيل القطع ، إذ ما نجده فى القرآن الكريم : من خطاب المفــرد بـــالجمع – قـــد يحــتمل معاني أخرى – إلى جانب إرادة التعظيم، ومن ذلك – قوله تعالى : " أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر ســور مــثله مفــتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صـــادقين – فـــإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله"[٢٧٣] ، فـــإن الخطاب فى قوله : (قل) – للمفرد ، وهو الرسول – صلى الله علـــيه وسلم، ثم تحول الخطاب إلى الجمع – فى قوله: (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا) ، وقد أورد الزمخشري – فى جمع الضمير بعد الإفراد – ثلاثة احتمالات :

الأول – أن المـــراد: فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين ، لأن رسول الله – صـــلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين – كانوا يتحدونهم ، وعلى هذا الوجه يكون فى جمع الضمير – مراعاة للمصاحب ، وقد سبق الحديث عنه.

٢٧١- الكتاب : ٣/ ٢٤٠.
٢٧٢- تفسير للنسفى : ١/ ١٣٠.
٢٧٣ – هود : ١٣، ١٤

الثانى – أن الجمع لتعظيم الرسول – ﷺ ،كقول الشاعر :

فإن شئت حرمت النساء سواكم [٢٧٤]

الثالث –أن يكون الخطاب للمشركين،والضمير فى (لم يستجيبوا)– لـ (من استطعتم)،يعنى:فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته ،لعلمهم بالعجز عنه،وأن طاقتهم –أقصر من أن تبلغه –فأعلموا أنما أنزل بعلم الله [٢٧٥]،وعلى هذا الوجه– فليس هناك انتقال من خطاب الواحد – إلى خطاب الجمع ومما تتضح فيه إرادة التعظيم –قو له تعالى :" قال رب ارجعون"[٢٧٦]،فلم يذكر الزمخشرى –فى جمع الضمير –إلا إرادة التعظيم [٢٧٧]،ولكن العكبرى –أضاف وجهين آخرين :

الأول –أن المراد :يا ملائكة ربى ارجعون،فالواو ترجع إلى مضاف محذوف .

الثانى –أنه دل بلفظ الجمع على تكرير القول ،فكأنه قال :ارجعنى ارجعنى [٢٧٨]،وهذا الوجه بعيد ،وأوضح الوجوه– إرادة التعظيم ، لأن الموقف يوم القيامة بما فيه من رهبة وإجلال–يوجب ذلك ولم،

٢٧٤- قاله العرجى :عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ،نسبة إلى عرج الطائف وتمامه : وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا وتاء (شئت)يحتمل أنها للمتكلم ،وأنها للمخاطبة وهو أبلغ ،وخاطب الواحدة بلفظ جمع المذكر ،تعظيما –مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف،للشيخ محمد عليان :٢/ ٢٩٤

٢٧٥- الكشاف :٢/ ٣٨٣

٢٧٦- المؤمنون :٩٩

٢٧٧- الكشاف :٣/ ٢٠٢

٢٧٨- إملاء ما من به الرحمن :٢/ ١٥٢

يحـــاول ابـــن هشـــام أن يلتمس علة لجمع الضمير بعد الإفراد،بل اقتصر على قوله :" وأما قوله تعالى :" قال رب ارجعون "،فأفرد ثم جمـــع ،لأن غير المبتدأ أو الخبر لا يجب له من التطابق –ما يجب لهما .[279]

279مغنى اللبيب :2/ 714

خاتمة

وبعـــد –فقد تناولنا فى هذا البحث جانبا مهما من قضايا الضمير فى اللغـــة ،وهـــو العلاقـــة الوثيقة بين الضمير ومرجعه،حيث لا يفهم المـــراد مـــن الضمير –وخاصة ضمير الغائب –إلا بهذا المرجع، ولذلـــك يســـمونه مفســـرا،ولم نتناول هذا الجانب فى اللغة –بشكل عام،ولكن تناولناه من خلال القرآن الكريم ،لأنه هو المصدر الأول الـــذي تستقى منه قواعد اللغة ،وقد وجدنا الحديث عن العلاقة بين الضمير ومرجعه يتخذ خطين متوازيين لابد منهما:وهما العلاقة بين الضـــمير ومرجعه،من حيث التصريح بهذا المرجع،وعدم التصريح بـــه ،لوجـــود قرينة تدل عليه،وهذا ما تناولناه فى الفصل الأول ، والعلاقـــة بيـــن الضمير ومرجعه ،من حيث التطابق نوعا وعددا ، وعـــدم الـــتطابق ،وهـــذا ما تناولناه فى الفصل الثانى.وقد كشفت الدراسة لهذين الجانبين عن النتائج التالية:

الأولـــى : أن الأصل فى مرجع الضمير– ونعنى ضمير الغائب – أن يكـــون متقدما عليه ،ولا يتأخر عنه– إلا فى مواضع محددة فى اللغة:عدها النحاة خارجة عن القياس يكتفى فيها بالسماع،ومن ذلك ضمير الشأن والقصة ،وضمير (نعم)،و(بئس)،وضمير (ربه).

الثانـــية –أن الضمائر فى اللغة –من الكلمات المبهمة –التى تحتاج إلى ما يفسرها ،ويوضحها ،وهذا يتمثل فى المرجع ،تقدم أو تأخر.

الثالثة –أن تقدم المرجع –قد يكون لفظيا،حيث يصرح به فى الكلام، وقد يكون معنويا ،حيث لا يصرح به فى الكلام،لدلالة الكلام عليه،وقد وجدنا لذلك شواهد كثيرة فى القرآن الكريم ،وليس للتقدم المعنوى –صورة واحدة ،بل له أنواع متعددة : منها –الرتبة ، ودلالة الحس عليه ،ودلالة الفعل عليه ،ودلالة السياق عليه –إلى غير ذلك من وجوه التقدم المعنوى ،وقد يكون التقدم حكميا ، وأرادوا بذلك عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ،فى المواضع المحددة التى أشرنا إليها سابقا،وقد عد النحاة– ذلك نوعا من التقدم، حتى لا يخرجوا بالضمير عن أصله فى الاستعمال .

الرابعة –أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من المواضع –التى وجدنا فيها مخالفة بين الضمير ومرجعه،إما من حيث التذكير والتأنيث ،أو من حيث الإفراد والتثنية والجمع.

الخامسة –أن هذه المخالفة –ليست فى الحقيقة –مخالفة حقيقية ، وإنما هى مخالفة فى الظاهر ،وبالتدقيق والنظر–نجد المطابقة بين الضمير ومرجعه–لا تزال متحققة ،وأن العلاقة بين الضمير ومرجعه –لا تخرج عن أصلها من المطابقة .

السادسة – أننا تتبعنا أقوال النحاة والمفسرين فى سر هذه المخالفة، فوجدناها تتسق تماما مع قواعد اللغة ،وقوانين العربية،وأنها لا تخرج عن سمت كلام العرب .

السابعة –أن كثرة الاحتمالات ،وتعدد الأقوال فى سر المخالفة بين الضــمير ومــرجعه فــى القرآن الكريم –دليل على إعجاز القرآن الكريم،حيــث تتعدد وجوه الإعجاز فيه،ولا يقف الناظر فيها –عند حــد ،بل كلما نظر فى وجه من هذه الوجوه ،توصل إلى مزيد من أسرار الإعجاز .

الثامــنة –أن الإيجاز –فيما ذكرناه من أسرار المخالفة بين الضمير ومــرجعه –كان السمة الغالبة ،لأن الإيجاز،من حذف ،وغيره –مما يميز الأسلوب القرآنى .

التاســعة –أن أسرار المخالفة بين الضمير ومرجعه –لا تقف عند التحليل النحوى أو اللغوى ،بل تتعدى ذلك إلى المعنى ،حيث يترتب علــى تعــدد الآراء –تعدد فى المعنى ،وتنوع فى الدلالة ، والنص الكريم له معطيات معنوية،لا يصل العقل إلى نهايتها .

العاشــرة –أن الضمائر –بوجه عام –تمثل جانبا مهما من جوانب اللغة ،إذ لا غنى لأى تركيب لغوى–عن الضمير، ويمكن القول بأن الضــمير بالنســبة للأســلوب العربى –يشبه الخيط الذي تنتظم فيه حبات العقد .

المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر،للشيخ أحمد بن محمد الشهير بالدمياطى البناء،رواه وصححه وعلق عليه-على محمد الضباع،دار الندوة الجديدة،بيروت -لبنان د-ت .

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب ،لأبى حيان الأندلسى ، تحقيق -الدكتور مصطفى أحمد النماس،الطبعة الأولى ،١٤٠٤-١٩٨٤ ،مطبعة النسر الذهبى .

٣- أمالى ابن الشجرى ،لهبة الله بن على بن محمد بن حمزة الحسنى العلوى،تحقيق ودراسة -الدكتور محمود محمد الطناحى،الناشر مكتبة الخانجى الطبعة الأولى ،١٤١٣ - ١٩٩٢ .

٤- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ، تأليف ابى البقاء العكبرى ،دار الكتب العلمية ،بيروت -لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩- ١٩٧٩ .

٥- الانتصاف بذيل الكشاف ،للإمام :أحمد بن المنير الإسكندرى

٦- البحر المحيط ،لأبى حيان الأندلسى،دار الكتب ،١٣٩٨ - ١٩٧٨.

٧- البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الرزكشى،تحقيق -محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة دار التراث بالقاهرة،د-ت .

٨- البسيط فى شرح جمل الزجاجى، لابن أبى الربيع :عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشى الإشبيلى السبتى،تحقيق ودارسة – الدكتور عياد بن عيد الثبيتى ،دار الغرب الإسلامى ،بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى ،١٤٠٧ ، ١٩٨٦ .

٩- البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ،لأبى البركات بن الأنبارى ،حققه وقدم له وعلق عليه- الدكتور رمضان عبد التواب ،الناشر –مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثانية ، ١٤١٧ –١٩٩٦-

١٠- البيان فى روائع القرآن دارسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى، للدكتور تمام حسان ،عالم الكتب ،الطبعة الثانية ،١٤٢٠ – ٢٠٠٠ .

١١- التذييل والتكميل فى شرح كتاب التسهيل،لأبى حيان الأندلسى، حققه الأستاذ الدكتور حسن هنداوى،دار القلم –دمشق،الطبعة الأولى ،١٤١٨ –١٩٩٧ .

١٢- تفسير القرطبى المسمى الجامع لأحكام القرآن،الطبعة الثالثة – دار الغد العربى القاهرة ،١٤٠٩ –١٩٨٩ .

١٣- تفسير النسفى ،للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابى الحلبى وشركاه د–ت.

١٤- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابى الحلبى وشركاه،د–ت.

١٥- الحجة فى علل القراءات السبع ،لأبى على الفارسى ،تحقيق – علـــى الـــنجدى ناصـــف،والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى، ومـــراجعة محمـــد علـــى النجار ،مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة،الطبعة الثالثة ،١٤٢١ –٢٠٠٠ .

١٦- خـــزانة الأدب ولـــب لباب لسان العرب تأليف عبد القادر بن عمر البغدادى ،تحقيق وشرح –عبد السلام محمد هارون،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الطبعة الثانية –١٩٧٩.

١٧- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى تحقيق الدكتور / أحمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٦.

١٨- الســـبعة فـــى القـــراءات ،لابن مجاهد،تحقيق ،الدكتور شوقى ضيف،الطبعة الثانية ،دار المعارف ،د.ت .

١٩- شـــرح التصـــريح علـــى التوضـــيح ،للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى ،على ألفية ابن مالك،دار إحياء الكتب العربية،عيسى البابى الحلبى،د.ت .

٢٠- شـــرح الفـــاكهى ،علـــى قطر الندى لابن هشام،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده،الطبعة الثانية ،١٣٩٠ -١٩٧١ .

٢١- شرح كافية ابن الحاجب فى النحو ،للشيخ،رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذى النحوى،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان، ١٤٠٥ -١٩٨٥ .

٢٢- شرح المفصل ،تأليف الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى ، عالم الكتب ،بيروت ،د.ت

٢٣- الكتاب ،لسيبويه :أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنبر،تحقيق وشرح- عبد السلام هارون ،دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثالثة ،١٤٠٨ -١٩٨٨ .

٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ،للإمام محمود بن عمر الزمخشرى ،الناشر -دار الريان للتراث ،ودار الكتاب العربى،بيروت لبنان ،رتبة وضبطه وصححه-مصطفى حسين أحمد ،الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ -١٩٨٧ .

٢٥- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،تأليف أبى الفتح: عثمان بن جنى ،تحقيق -على النجدى ناصف ،والدكتور عبد الحليم النجار ،والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،لجنة إحياء التراث الإسلامى ،القاهرة ١٣٨٦.

٢٦- المذكر والمؤنث ،لأبى بكر بن الأنبارى،حققه وعلق عليه- الدكتور رمضان عبد التواب،وزارة الأوقاف،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،لجنة إحياء التراث بالقاهرة،١٤١٩- ١٩٩٩.

٢٧- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف،للشيخ محمد عليان المذكور-بذيل الكشاف.

٢٨- معانى القرآن ،تأليف أبى زكرياء: يحيى بن زياد الفراء، الجزء الأول -تحقيق أحمد يوسف نجاتى ،ومحمد على النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ،الطبعة الثالثة،١٤٢٢ -٢٠٠١، والجزء الثانى،تحقيق ومراجعة-الأستاذ محمد على النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة،د.ت ،والجزء الثالث،تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ،ومراجعة الأستاذ على النجدى ناصف ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣ .

٢٩- معانى القرآنى وإعرابه ،للزجاج :أبى إسحق إبراهيم بن السرى،وشرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبى ،عالم الكتب ،الطبعة الأولى ،١٤٠٨ -١٩٨٨ .

٣٠- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصارى المصرى ،تحقيق – محمد محيى الدين عبد الحميد،مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده،د. ت

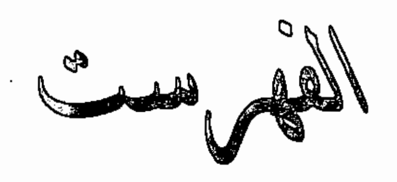
٣١- المقتضب ،صنعه -أبى العباس :محمد بن يزيد المبرد ،تحقيق -محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية ،لجنة إحياء التراث الإسلامى القاهرة الطبعة الثالثة، ١٤١٥ -١٩٩٤ .

٣٢- المقــرب ،تألــيف -على بن مؤمن المعروف بابن عصفور ، تحقــيق أحمد عبد الستار الجوارى،وعبد الله الجبورى،الطبعة الأولى، ١٣٩١-١٩٧١ .

٣٣- الــنحو الوافــى ،للأستاذ عباس حسن،دار المعارف ،الطبعة الحادية عشرة،د. ت

٣٤- همــع الهوامع شرح جمع الجوامع ،تأليف الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ،صححه -محمد بدر الديــن النعسانى ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت-لبنان، د-ت .



الموضوع	الصفحة